دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	أسلوب الاستفهام في آيات الأحكام : دلالته وخصائصة التركيبية ومعانيه البلاغية
المؤلف الرئيسي:	محمد، عبدالرحمن عثمان شعيب
مؤلفين آخرين:	إبراهيم، صديق عبدالرحمن، آدم، محمد هاشم محمد(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2014
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 347
رقم MD:	696916
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
الكلية:	كلية الدراسات العليا
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	بلاغة القرآن
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/696916

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الفَصْلُ الثَّانـي

الخصائص التَّركيبية للجملة الاستفهامية من آيات الأحكام

المبْحث الأوَّل: الحذْف في الجملة الاستفهامية في آيات الأحكام وأسراره البلاغية.
المبْحث الثَّاني: التَّقديم والتَّأَخير في الجملة الاستفهامية وأسراره البلاغية.
المبْحث الثَّالث: الفصل والوصل بين الجملة الاستفهامية مع ما قبلها وما بعدها في آيات الأحكام وأسراره البلاغية.

المبْحث الأول: الحذف في الجملة الاستفهامية في آيات الأحكام وأسرارهُ البلاغيَّة

توطئةٌ

يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني[1](ت:471هـ) مبيِّناً أسرارَ الحذفِ البلاغيَّة وقيمتهُ في نظم الكلام:

" هو بابٌ دقيقُ المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيهٌ بالسِّحر، فإنَّك ترى به ترْك الذِّكر أفصح من الذِّكرِ، والصَّمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجد أنْطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِن ".[2]

والبليغ هو الذِّي يتحرى في تأدية معنى كلامه أخف ما يمكن[3]، فيميل أحياناً إلى الحذف إيجازاً للكلام وتخفيفاً من ثقَلهِ "ومن منا من لا يُفضِّل الخفة على الثِّقل ، ما دامت الخفَّة هي المطلوبة والمقام يستدعيها ، والحال يطلبها، ففي الخفَّة تكمن البلاغة ويسمو الكلام، حتى يصل إلى قوة السِّحر في التَّأثير، وتكون الجملة مع الحذف أشد وقعاً على النَّفس وأتمَّ بياناً وأفصح من الذِّكر".[4]

ولكن المتكلِّم لا يحذف من كلامه كيفما شاء لأنَّ الحذف لا يكون بليغاً إلا إذا وافق شرطين:

أولهما: أنْ يكون في الكلام قرينة لفظية أو حالية(عقلية) تدلُّ على المحذوف حال حذفه، وهذا الدَّليل إما أنْ يُعيِّن المحذوف تعييناً جلياً، وإما أنْ يشير إليهِ ويترك للعقل تعيينه بعد الإيماءِ إليهِ إلى نوعهِ. وهذا شرطٌ أجمع عليه اللُّغويون والنَّحويون والبلاغيون. لأنَّ العرب" لم يجرواْ على القياس، حذر الالتباس، فكان عليهم أن لا يجيزوا حذف الاستفهام من الكلام، وقد أجازوها اعتماداً على قرينة لفظية، مثل "ما أدري في ليل رحل

---

(1) انظر ترجمتهُ ص37 من هذا البحث.

(2) دلائل الإعجاز، 146.

(3) المصباح، ص142.

(4) التَّراكيب النَّحوية من الوجهة البلاغيَّة، ص159، 160.

القوم، أَم في نهار؟ أي أَفي ليل؟ ... وقد يكون الحذف اعتماداً على قرينة معنوية، يعتمد فيها على فطنة السامع".[1]

ثانيهما: وجود داعٍ بلاغيّ يرجِّح الحذف على الذِّكر. فإذا فُقد في الحذف أحد الشَّرطين خرج عن دائرة البلاغة ليكون إما اعتباطاً أو إجحافاً.

" وعلماء البلاغة يُطلقون على الحذف الَّذي لا يقتضيه داع بلاغي يرجِّح أو يوجب الحذف على الذِّكر،..(الحذف اعتباطاً) لخلوِّهِ من الحكمة البيانية، كما يطلقون على الحذف الَّذي ليس في الكلام ما يدُلُّ عليه تحديداً أو نوعاً (الحذف إجحافاً). والنَّظم [القرآني] الحكيم يخلو من كِلا النوعين: الاعتباط والإجحاف".[2]

فجميع ما في القرآن الكريم من مواضع الحذف هو حذفٌ بلاغيّ من أعلى مراتبها ولم يملْ إليه الأسلوب القرآني إلا لدواعٍ رجحتهُ على الذِّكر، مع ما ينطوي عليه من أسرارٍ لولمْ يوجد منها إلا تخفيف أُسلوبهِ وإيجازه، وتنميةُ الفكر وإيقاظهُ، وشحْذُ الخيال وملَاذُّهُ[3] لَكفى.

(1) جامع الدُّروس العربية، مصطفى بن محمَّد سليم الغلاييني، المكتبة العصرية ، صيدا– بيروت، ط28، 1414هـ–1993م، ج2، ص144.

(2) التَّفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، د.عبدالعظيم إبراهيم المطعني، مكتبة وهبة – القاهرة، ط2، 1428هـ–2007 م، ج3، ص426، 427.

(3) أي موضع اللَّذة، انظر: لسان العرب، ج13، حرف اللام، ص192.

المطلب الأول: حذف أداة الاستفهام وحْدها وهو مختص بالهمزة: مما ورد به قوله تعالى:

(وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [1] ففي(أَتَّخَذْتُمْ) همزة الاستفهام مقدرة وأصلها (أأتخذتم) وقد حذفت الهمزة للتَّخفيف والإيجاز [2]، وكان الحذف بناءً على قرينة لفظية تدلُّ على الهمزة وهي (أم) المتصلة. ففي هذه الآية" أم إما متصلة، والاستفهام لتَّقرير المؤدي إلى التَّبكيت ليحقق العلم بالشِّق الأخير– أي الافتراء على اللَّه– كأنهُ قيل: أم لم تتخذوه بل تقولون على اللَّه، وإما منقطعة والاستفهام لأنكار الاتخاذ ونفيهِ" .[3]

(أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا) [4]الاستفهام في(أَطَّلَعَ) مقدَّرة وأصلها (أأطَّلع) وحذفت الهمزة للتَّخفيف والإيجاز [5] بناءً على قرينة لفظية تدلُّ على الهمزة وهي (أم) المتَّصلة" والواقع أن(أم) متصلة ومعناها مع معنى الهمزة في (أَطَّلَعَ)." [6]

(أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ) [7] همزة الاستفهام بعد(أم) المنقطعة مقدرة، وحذفت للإيجاز والتَّخفيف بناءً على القرينة اللَّفظية الَّتي تدلُّ عليها وهي (أم) المنقطعة "(أَمِ اتَّخَذَ) أم منقطعة للإضراب الإبطالي من جعلهم للَّه من عبادهِ جزءاً... والهمزة لإنكار زعمهم هذا".[8]

وهذا التَّوجيه؛ أي اعتبار همزة الاستفهام محذوفة بعد(أم) المنقطعة هو بناءً على مذهب الكوفيين القائل أنَّ (أم) المنقطعة هي بمعنى (بل) فقط، إمَّا مطلقاً سُبقت

---

(1) سورة البقرة الآية(80).

(2) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج1، ص78.

(3) تفسير أبي السُّعود المسمَّى: إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السُّعود محمَّد بن محمَّد العمادي، دار المصحف، ومكتبة ومطبعة عبدالرَّحمن محمَّد– القاهرة، د ت، د ط، ج1، ص121.

(4) سورة مريم، الآية(78).

(5) التَّفسير البلاغي للاستفهام ، ج2، ص289.

(6) المصدر السَّابق ، ج2، ص291.

(7) سورة الزُّخرف، الآية(16).

(8) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج4، ص40.

باستفهامٍ أم لا وهو قول الكسائي[1](ت:189هـ) الَّذي رجحهُ ابن هشام[2](ت:761هـ) بقولهِ: "ومعنى أم الَّذي لا يفارقها الإضراب، ثم تارةً تكون لهُ مجرداً، وتارةً تتضمن مع ذلك استفهاماً طلبياً أو استفهاماً انكارياً".[3]وإمَّا مقيداً بسبق الاستفهام لها وهو قول الفراء[4](ت:207هـ) في (معاني القرآن) بقوله: "وربما جعلت العرب (أم) إذا سبقها استفهامٌ لا تصلح أي فيه على جهة (بل) فيقولون: هل لك قبلنا حقٌّ أم أنت رجلٌ معروفٌ بالظلم؛ يريدون بل أنت رجلٌ معروف بالظُّلم".[5]

وأما البصريون فإنهم يقولون: "أنَّها تقدَّر بـ(بل) والهمزة مطلقاً.. وذكر ابن مالك[6](ت:672هـ) أنَّ الأكثر أن تدل على الإضراب مع الاستفهام وقد تدلُّ على الإضراب فقط".[7]

ولكن مذهب البصريين غير مطرد لأنَّهم اضطروا أن يستثنوا من قاعدتهم المواضع الّتي دخلت فيها أم المنقطعة على ما يدل على الاستفهام فجعلوها بمعنى (بل) فقط، فقد "نقل أَبوحيان[8](ت:745هـ) عن جميع البصريين وهو رأي ابن مالك أنَّ أم المنقطعة لا يتعيّن تقديرها بـ(بل) والهمزة ونظيرها قوله تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.[9]

---

(1) انظر ترجمتهُ: ص26 من هذا البحث.

(2) هو عبد اللَّه بن يوسف بن أحمد بن عبداللّه بن يوسف بن هشام، جمال الدين، أَبو محمّد من أئمة العربية مولده ووفاته بمصر، من تصانيفه (مغني اللَّبيب)، (أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك)، (شذور الذّهب)، (قطر النَّدى). توفي سنة إحدى وستين وسبعمائة من الهجرة. انظر ترجمتهُ: الأعلام للزَّركلي، ج4، ص147.

(3) مغني اللَّبيب، ج1، ص44.

(4) انظر ترجمتهُ: ص26 من هذا البحث.

(5) معاني القرآن للفرَّاء، ج1 ص72.

(6) انظر ترجمتهُ: ص26 من هذا البحث.

(7) الجنى الدَّاني في حروف المعاني، ص205.

(8) انظر ترجمتهُ: ص25 من هذا البحث.

(9) سورة الرّعد الآية(16).

وذهب الكسائي– إمام الكوفيين – إلى أنَّ (أم) المنقطعة لا يتعيّن تقديرها بـ(بل) فقط ونظيرها قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾[1] ".[2]أي لا بد من تقدير همزة استفهام محذوفة لأنَّ التَّقدير بـ(بل) فقط يكون: (بل له البنات ولكم البنون) ، وهذا شركٌ.

وأرى هُنا أنَّ مذهب الكوفيين هو الأقرب والأسلم من التَّكلف؛ أي أنَّ (أم) المنقطعة هي بمعنى (بل) فقط، لا بمعنى (بل) والهمزة معاً، وأنَّ همزة الاستفهام محذوفة تقدَّر إذا اقتضاها السِّياق وإلَّا فلا.

(1) سورة الطُّور الآية(39).

(2) الكليَّات، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكَفومي، تحقيق: عدنان درويش ومحمَّد المصري، مؤسسة الرسالة– بيروت، د ط، 1419هـ–1998م، ص161، 162.

المطلب الثَّاني: الحَذف في الجملة الفعلية الاستفهامية:

أولاً: حذف الفعل بعد (كيف) وتكون كيف في موضع نصب.

فإنَهُ قد".. أُكتُفِيَ بـ(كيف) ولا فعل معها لأنَّ المعنى تقدَّم...وإذا أُعيد الحرف وقد مضى معناهُ استجازواْ حذف الفعل".[1]

وقد ورد ذلك في نحو قولهِ تعالى:

(فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ).[2]

قدَّر الزَّمخشري[3](ت:538هـ) الفعل المحذوف بقوله: "فكيف يصنعون، فكيف تكون حالهم وهو استعظام لِما أُعِد لهم".[4]

(فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا).[5]

قدَّره الزَّمخشري بقوله: "فكيف يصنع هؤلاء الكفرة ".[6]

(كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ).[7]

قال الزَّمخشري: "حُذِف الفعل لكونه معلوماً... أي كيف يكون لهم عهدٌ".[8]

(فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ).[9]

قدَّر الزَّمخشري المحذوف بقولهِ: "كيف يعملون وما حِيلتهم".[10]

---

(1) معاني القرآن للفرّاء، ج4، ص424. وانظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمّد عبدالخالق عضيمة، دار الحديث– القاهرة، د ط، د ت، ج2، ص425.

(2) سورة آل عمران الآية(25).

(3) انظر ترجمتهُ: ص47 من هذا البحث.

(4) الكشَّاف، ج1، ص326.

(5) سورة النِّساء الآية(41).

(6) الكشَّاف، ج1، ص478.

(7) سورة التَّوبة، الآية(8).

(8) الكشَّاف، ج2، ص231.

(9) سورة محمَّد الآية(27).

(10) الكشَّاف، ج2 ، ص203.

وسبب حذف الفعل في الآيات السَّابقة هو العلم بهِ[1]، والسِّر البلاغي في حذفهِ وهو المستفهَم عنهُ "إيحاءٌ بأنَّ اللُّغة تضيق عن تصويرهِ.. كما يساعد حذف المستفهَم عنهُ أنْ تذهب النَّفس كل مذهب في تخيلهِ وتصورهِ".[2]

ثانياً حذف متعلِّق الاستفهام:

والغالب أنْ يكون المتعلِّق إن كان فعلاً هو فعل القول نحو قولهِ تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[3]؛ أي نقول أولم نمكن لهم حرماً آمناً. [4]

﴿أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ﴾[5]والتقدير: يقول المولى لهم: ألم تكن آياتي تتلى عليكم.[6]وسر الحذف هو الإيجاز.

وقد يكون المتعلِّق فعلاً من غير القول نحو قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾[7] حيث حُذف العامل في الحال وهو الفعل والفاعل، والتَّقدير: انقسمتم فئتين، أو" كنتم فئتين" [8]وقد حذفا للإيجاز.

---

(1) المصدر السَّابق ج2 ، ص231.

(2) التَّفسير البلاغيّ للاستفهام، ج1، ص205.

(3) سورة القصص الآية(57).

(4) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج3، ص202.

(5) سورة المؤمنون الآيتان(104، 105).

(6) أساليب الاستفهام في القرآن ، ص400.

(7) سورة النِّساء الآية(88).

(8) تفسير البحر المحيط، ج3، ص313.

(وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ)[1] ففي الآية حذفٌ لمعمول(تكفرون) وهو (باللَّه) وسر حذفهِ كراهة نسبةَ الكفر باللَّه إلى المؤمنين. وهذا من تكريم ربهم لهم.[2]

(قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ).[3]

"في قولهِ (آللَّه أذن لكم) حذفٌ للمتعلِّق الَّذي هو مفعولٌ بهِ وتقديرهُ (فيهِ) أي آللَّه أذن لكم فيهِ".[4]

ثالثاً: حذف المعطوف عليهِ عند توسط حرف العطف بين همزة الاستفهام والفعل المنفي عند الإمام الزَّمخشري(ت538هـ):

لقد كان أول ورود لهذا التَّركيب– أي توسط حرف العطف بين همزة الاستفهام والمستفهَم عنهُ – في القرآن الكريم عند قوله تعالى: (أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[5]يقول الإمام أَبوحيَّان(ت:745هـ): "(أفلا تعقلون): مذهب سيبويه والنَّحويين؛ أنَّ أصل الكلام تقديم حرف العطف على الهمزة في مثل هذا... لكن لمَّا كانت الهمزة لها صدر الكلام قُدِّمت على حرف العطف، وذلك بخلاف (هل) ، وزعم الزَّمخشري أن الواو والفاء وثُمَّ بعد الهمزة واقعة موقعها لا تقديم ولا تأخير. ويجعل بين الهمزة وحرف العطف جملة مقدَّرة يصح عليها العطف وكأنَّهُ رأى أن الحذف أولى من التقديم والتَّأخير.

وقد رجع عن هذا القول في بعض تصانيفهِ إلى قول الجماعة".[6]

---

(1) سورة آل عمران الآية(101).

(2) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج1، ص176.

(3) سورة يونس الآية(59).

(4) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج3، ص71.

(5) سورة البقرة الآية(44).

(6) تفسير البحر المحيط، ج1، ص183.

وكان أول تطبيق للزَّمخشري لمذهبه عند قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[1]، ثُمّ قولهِ تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2]، ثُمَّ قولهِ تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[3]وعن هذه الأخيرة يقول: "دخلت همزة الإنكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى: فأولئك هم الفاسقون فغير دين اللَّه يبغون– ثُمَّ توسطت الهمزة بينهما – ويجوز أنْ يُعطف على محذوف تقديرهُ: أيتولون، فغير دين اللَّه يبْغون".[4]

ولكن الإمام الزَّمخشري لم يتحمَّس لمذهبهِ الَّذي تقدَّم ذكره، ولم يُطبِّقه إلا على مواضع قليلة، بينما تحمَّس لهُ كثيراً بعض المفسِّرين الّذين أتواْ بعدهُ [5]كالإمامين أبي السُّعود[6](ت:982هـ)، و الألوسي[7](ت:1270هـ)، فطبقاهُ على كل استفهام من مثل هذا التَّركيب. فمثلاً في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾[8] يقول أَبو السُّعود مقدِّراً المحذوف: "أفعلواْ ما فعلواْ من الإعراض عن الآيات والتَّكذيب بها، ولم ينظرواْ إلى الأرض..".[9]

---

(1) سورة البقرة الآية(87).

(2) سورة البقرة الآية(100).

(3) سورة آل عمران الآية(83).

(4) الكشَّاف، ج1، ص355.

(5) انظر: التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج3، ص348،242. ج4، ص420.

(6) هو محمَّد بن محمَّد بن مصطفى العمادي، المولى أَبو السُّعود: مفسِّرٌ وشاعرٌ من علماء التُّرك المستعربين وُلد بالقرب من القسطنطينية سنة ثمان وتسعين وثمانمائة من الهجرة ، ودرس في بلدان متعددة ثمّ تقلد القضاء في بروسة فالقسطنطينية فرُوم أَيلي. وأُضيف إليه القضاء، وهو صاحب التَّفسير المعروف باسمهِ وقد سماهُ (إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا الكتاب العزيز) وتوفي سنة اثنين وثمانين وتسعمائة ودفن بالقرب من مرقد أَبي أيوب الأنصاري–رضي اللّه عنهُ–. انظر ترجمته: شذرات الذّهب، ج8، ص395. الأعلام للزَّركلي،ج7، ص59. معجم المؤلفين، ج11، ص301، 302.

(7) هو محمود بن عبداللّه الحسيني الألوسي الملقب بشهاب الدِّين أَبو الثَّناء، مفسرٌ محدِّثٌ أديبٌ ويعتبره البعض من المجددين. تقلَّد الإفتاء ببغداد فعزل فانقطع للتَّأليف وتوفي سنة سبعين ومائتين وألف وقبره ببغداد. وأَبو المعالي الألوسي صاحب (بلوغ الأرب في أحوال العرب) هو حفيدٌ لشهاب الدِّين الألوسي. انظر ترجمتهُ: معجم المؤلفين، ج12، ص175. الأوهام الواقعة، ص5. طبقات النَّسابين، ص35.

(8) سورة الشُّعراء الآية(7).

(9) تفسير أبي السُّعود، ج6، ص235.

ويقدِّره الألوسي بقولهِ: "أأصرُّواْ على ما هم عليه من الكفر باللَّه.. ولم ينظروا إلى عجائب الأرض الزَّاجرة لهم عن ذلك".[1]

وفي قولهِ تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا)[2] يقدِّر أَبوالسُّعود المحذوف فيه بقوله: "أيعرضون عن القرآن فلا يتأملون..". [3] ويقدِّرهُ في في قوله تعالى: (أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[4] بقولهِ: "ألا "ألا ينتهون عن تلك العقائد الزَّائفة والأقاويل الباطلة فلا يتوبون إلى اللَّه ويستغفرونهُ بالتَّوحيد".[5] وهكذا في بقية المواضع.

وقد ذكر أَبوحيان[6](ت:745هـ) في عبارته السابقة أنَّ الإمام الزَّمخشري[7] (ت:538هـ) رجع عن هذا إلى مذهب الجماعة ولكن صاحب(التَّفسير البلاغي للاستفهام) ردَّ ذلك بقولهِ: "هذا وقد زعم أَبوحيان بعد ذلك أنَّ الزَّمخشري رجع عن هذا القول ، واتَّبع مذهب الجماعة وهذا غير مسلَّم للإمام أبي حيان لأننا لاحظنا في هذه الدِّراسة أنَّ الزَّمخشري يطبِّق مذهبهُ أحياناً ويهملهُ أحياناً أُخرى، ولذلك أشرنا مرات إلى أنَّ مذهبهُ قائمٌ عندهُ على الجواز لا على الوجوب، فالجزم بأنَّه رجع عن مذهبه بالكلية مدفوعٌ بما ورد في كتابهِ الكشَّاف". [8]وهو الأظهر لأنَّ الزَّمخشري نفسهُ صرَّح بذلك. [9] (9)

(1) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني، العلامة شهاب الدِّين السيد محمود الألوسي، دار إحياء التُّراث العربي – بيروت، ط4، 1405هـ-1985م، ج19، ص61.

(2) سورة النِّساء، الآية(82).

(3) تفسير أبي السُّعود، ج2، ص207.

(4) سورة المائدة الآية(74).

(5) تفسير أبي السُّعود، ج3، ص67.

(6) انظر ترجمتهُ: 25 من هذا البحث.

(7) انظر ترجمتهُ: ص47 من هذا البحث.

(8) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج4، ص421.

(9) انظر: الكشَّاف، ج1، ص355

المطلب الثَّالث: الحذف في الجملة الإسمية الاستفهامية:

أولاً: حذف المبتدأ بعد (كيف) وتكون كيف في موضع رفع كما في قولهِ تعالى:

(فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا).[1]

يقول أَبوحيَّان: "كيف في موضع رفع إن كان المحذوف مبتدأً والتَّقدير: فكيف يكون هؤلاء.. أو كيف صنعهم وهذا هو العامل في(إذا) أو في موضع نصب إن كان المحذوف فعلاً أي كيف يصنعون".[2]

(فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ)[3]

يقولُ صاحب (البيان): "(كيف) في موضع رفع لأنَّها خبر مبتدأ محذوف وتقديره: فكيف حالهم. فحُذِف المبتدأ للعلم بهِ".[4]

فسبب الحذف في الموضعين هو القرينة العقلية وهي العلم به[5]، وأما السر البلاغي لحذف المبتدأ وهو المستفهَم عنهُ لغرض الإيجاز وذلك لأن تذهب النَّفس كلَّ مذهبٍ في تخيُلهِ وتصورهِ.

ثانياً: حذف الخبر، كما في قولهِ تعالى: (أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)[6]

فورود المبتدأ(أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ) دليلٌ قاطعٌ على أنَّ لهُ خبراً محذوفاً، وهو كما قدَّرهُ أَبوالسُّعود: "كمنْ قسا قلبهُ..؟".[7]

---

(1) سورة النِّساء، الآية(41).

(2) تفسير البحر المحيط، ج3، ص252.

(3) سورة محمَّد الآية(27)

(4) البيان في غريب إعراب القرآن، أَبو البركات عبدالرَّحمن بن محمَّد بن عبيد اللَّه بن الأنباري، تحقيق د. طه عبدالحميد طه، مراجعة مصطفى السَّقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1400هـ-1980م، ج2، ص376.

(5) المصباح، ص104.

(6) سورة الزَّمر، الآية(22).

(7) تفسير أبي السُّعود، ج7، ص250.

وسبب الحذف دلالة ما قبلهُ عليهِ لأنَّهُ أسلوب مقارنةٍ بين شيئين. وسرُّ الحذف المقارنة بين حال المؤمنين وحال الكافرين، فأُوثِر في وصف المؤمنين الذِّكر والتَّقديم(أفمن شرح اللَّه صدرهُ) وفي وصف الكفار الحذف والتَّأخير(كمن قسا قلبهُ)؛ وذلك لأنَّ الآية موضوع الدِّراسة معطوفة على الآية السَّابقة لها وفيها وصف للمؤمنين(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)،[1] فناسَب ذلك ذكر وصف المؤمنين مقدَّماً لأنهم هُم أصحاب العُقول المستنيرة.

وحُذف وصف الكافرين – مع تأخيره – إشارة إلى أنَّهم مسلوبو العقول. فلا وجود لهم في هذه السَّاحة الشَّريفة. [2]

(1) سورة الزُّمر، الآية(21).

(2) انظر: التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج4، ص428.

المطلب الرَّابع: حذف أسلوب الاستفهام برمتهِ في مواضع الفصل لشبه كمال الاتصال:

وذلك في نحو قوله تعالى(**قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ**)[1]فهذه الجملة " استئنافٌ بياني لأنَّ إقبال القوم إلى إبراهيم– عليه السَّلام – بحالةٍ تُنذر بحنقهم وإرادة البطش بهِ عند قوله تعالى: (**فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ**)[2] يُثير في نفس السَّامع تساؤلاً عن حال إبراهيم في تلقيه بأولئك وهو فاقدٌ للنّصير معَّرضٌ للنَّكال فيكون

(**قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ**) جواباً وبياناً لما يُسأل عنهُ ".[3]وهذا السؤال يمكن تقديرهُ بـ: فماذا قال إبراهيم– عليه السَّلام– حينما أقبل إليه قومهُ يلومونهُ على تحطيم أصنامهم؟ فجاءت الآية (**قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ**) جواباً لهذا السُّؤال المحذوف، ولهُ شواهد أُخرى عديدة ستمر بنا في المبحث الثَّالث من هذا الفصل (مبحث الفصل والوصل).

---

(1) سورة الصَّافات الآية(95).

(2) اسورة الصَّافات الآية(94).

(3) تفسير التَّحرير والتَّنوير، للشيخ محمَّد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنَّشر والتّوزيع – تونس، د ط، د ت، ج23، ص145.

المطلب الخامس: ما هو من باب الحذف العام في أسلوب الاستفهام من آيات الأحكام:

منهُ حَذْف الفعل في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[1] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾. [2]وقولهُ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.[3]

" ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ﴾ هو جواب للقسم الذّي سدَّ مسد جواب الشَّرط في﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ وفي العبارة إيجاز بالحذف والتَّقدير: ليقولن خلقهن اللَّه، أو اللَّه خلقهن والثاني أصوب لأن المسئول عنه هو الفاعل وليس الفعل".[4]

ففي الموضعين حَذْفٌ للفعل والمفعول والتقدير: خلقهُن وقد حُذفا للإيجاز والاحتراز عن السأم والعبث. [5]

وحَذْف المفعول به في قولهِ تعالى ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[6]

وقولهُ تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾.[7]

فقد حُذِفَ مفعول يُطعِم ويُطعَم ومفعول يسمعون لإفادة التعميم[8]

---

(1) سورة العنكبوت الآية(61).

(2) سورة العنكبوت الآيتان(63).

(3) سورة لقمان الآية(25).

(4) التفسير البلاغي للاستفهام، ج3، ص235.

(5) المصباح، ص121، 125.

(6) سورة الأنعام الآية(14).

(7) سورة الأعراف الآية(100).

(8) المصباح، ص126.

وتقديرهُ: شيئاً.

وحَذْف أداة الشَّرط وفعلها في قوله تعالى:(وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ).[1]

ففي قوله(فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ) هذه الفاء هي الفاء الفصيحة الَّتي تنبئ عن شرطٍ مقدَّر ينسحب عليه الكلام، وفي نحو هذا قولان: إما تضمين الاستفهام معنى الشَّرط، وإما أن يكون الشَّرط محذوفاً واختار الزَّمخشري القول الثَّاني[2] لذلك قال:

" (فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ): متعلِّقٌ بمحذوف تقيره: إنْ اتخذتم عند اللَّه عهداً فن يُخلف اللَّه عهدهُ ".[3]وقد حُذف للإيجاز.

(1) سورة البقرة الآية(80).

(2) انظر: تفسير البحر المحيط، ج1، ص287.

(3) الكشَّاف، ج1، ص150.

المبْحث الثَّاني: التقديم والتَّأخير في الجملة الاستفهامية وأسرارهُ البلاغيَّة

توطئةٌ

يقول الإمام عبدالقاهر[1](ت:471هـ) عن التَّقديم والتَّأخير – موضحاً قيمتهُ وأسرارهُ البلاغيَّة، وأثرهُ في تركيب الكلام ونظمهُ:

" هو بابٌ كثير الفوائد، جمُّ المحاسن، واسع التَّصرف، بعيد الغاية لا يزال يفْتَرُّ لك عن بديعةٍ، ويُفضي بك إلى لطيفةٍ، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعهُ ويلطف لديك موقعهُ، ثُمَّ تنظر فترى سبب أنْ راقك ولطُفَ عندك أنْ قُدِّم فيه شيءٌ وحُوِّل اللَّفظ من مكانٍ إلى مكانٍ".[2]

ثُمّ يوجِّه عبد القاهر اللَّوم للسَّابقين لأنهم لم يتغلغلواْ لمعرفة دقائق الكلام، ولم يُدققوا النَّظر إلى الفروق بين التَّراكيب ووجوه الاختلاف بينها سواءً في التَّقديم والتَّأخير ، أو غيره من صور التَّراكيب، وأنَّهم اكتفواْ في التَّقديم والتَّأخير بقولهم: أنَّه للعناية والاهتمام من غير أنْ يبينواْ من أين كانت ويبينواْ ذلك بجملةٍ من الشَّواهد. يقول:

"واعلمْ أَنَّا لم نَجدْهُم اعْتَمدوا فيه شيئاً يَجري مَجرى الأَصْل، غيرَ العنايةِ والاهتمامِ. قال صاحبُ الكتاب، وهو يَذكُر الفاعلَ والمفعولَ: (كأنَّهم يقدِّمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أَعْنى، وإِن كانا جميعاً يُهمَّانِهم ويَعْنيانِهم) ولم يَذْكر في ذلك مثالاً".[3]

ويقول أيضاً: " وقد وقع في ظنون النَّاس أَنَّهُ يكفي أنْ يُقال أنَّه قُدِّم للعناية ولأنَّ ذكرهُ أهمَّ، من أين كانت العناية؟ وبم كان أهمَّ".[4]

فهو يلوم النُّحاة السَّابقين لهُ ومنهم سيبويه صاحب (الكتاب) لأنَّهم لم يذكرواْ للتَّقديم أيّ أسرارٍ ودقائق في الكلام سِوى أنَّه للعناية والاهتمام، وكلامهُ هذا يُفيد أنَّه راجع ما كُتبَ عنْ هذا الباب في كُتبِ النُّحاة والمفسِّرين والبلاغيين منذ عصر سيبويه فلم يجد ما يشفي غليلهُ.

---

(1) انظر ترجمتهُ: ص37 من هذا البحث.

(2) دلائل الإعجاز، ص106.

(3) المصدر السَّابق، ص107

(4) المصدر نفسهُ، ص108.

ولكن يُحمد لسيبويه والسَّابقين وضع قاعدة للتَّقديم والتَّأخير لم يستطع الخروجُ عليها أحدٌ من السَابقين أو اللاحقين. وهي الَّتي اهتدى بها الإمام عبد القاهر نفسهُ ومهدَّت له الطَّريق لاستخراج الأسرار الخاصة بكل تركيب ونظمٍ.

المطلب الأوَّل: تقديم همزة الاستفهام على حروف العطف:

ذكرتُ فيما مضى أنَّه عند توسط حرف العطف بين همزة الاستفهام والمستفهَم عنه أنَّ جمهور النُّحاةِ والبلاغيين يعتبرون الهمزة مقدَّمة من تأخير لأنَّ الاستفهام له صدر الكلام. أما الزَّمخشري[1](ت:538هـ) ومن تابعهُ فقد اعتبرواْ أنَّ الهمزة قارةٌ في مكانها وأنَّ مدخوله محذوف مخالفين بذلك قول الجمهور.[2]

وهذا التَّركيب – أي توسط حرف العطف بين همزة الاستفهام والمستهَم عنهُ – قد تكرر في مواضع عديدة في أسلوب الاستفهام من آيات الأحكام منها قوله تعالى:

(أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ)[3]

وقوله تعالى: (أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[4]

وقوله تعالى(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا)[5]

وقوله تعالى(أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)[6]

وقوله تعالى(أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا)[7]

وقوله تعالى(قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[8]

---

(1) انظر ترجمتهُ: ص48 من هذا البحث.

(2) راجع ص116 من هذا البحث.

(3) سورة آل عمران الآية(83).

(4) سورة المائدة الآية(74).

(5) سورة النِّساء الآية(82).

(6) سورة النّحل الآية(17).

(7) سورة الكهف الآية(50)

(8) سورة الأنبياء الآيتان(66، 67).

وقوله تعالى(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ)[1]

فالهمزة في جميع الآيات مقدَّمة من تأخيرٍ على العطف، وأصل التَّركيب هو: (فأغير)، (فألا)، (فأمن)، (فأتتخذونهُ)، (فأتعبدون)، (وألم).

والفرق بين مذهب الجمهور القائل أنَّ همزة الاستفهام مقدَّمة من تأخير على حروف العطف، ومذهب الزَّمخشري القائل أنَّ همزة الاستفهام قارة في مكانها ومدخولها محذوف وهو المعطوفٌ عليهِ؛ أنَّ معنى الاستفهام في الأول غالباً هو التَّقرير أصالة ثُمّ تردف إليها معاني أخرى قد يكون منها الانكار.

أما في الثاني– أي مذهب الزَّمخشري – فإنَّ معنى الاستفهام الإنكار.[2]

ولكن دلالات المقام – غالباً – تُناصر مذهب الجمهور بل يكون أحياناً هو المتعيَّن ولا يصح في المقام غيرهُ.[3]

(1) سورة السَّجدة الآية(27).

(2) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج3، ص241، 242.

(3) المصدر السَّابق، ج3، ص242.

المطلب الثَّاني: التقديم والتَّأخير في الجملة الفعلية الاستفهامية الَّتي فعلها ماضٍ:

لعلَّ أجود ما كُتِب قديماً وحديثاً عن التَّقديم والتَّأخير مع الاستفهام هو مبحث التقديم والتَّأخير مع همزة الاستفهام الَّذي صاغهُ الإمام عبد القاهر في كتابهِ (دلائل الإعجاز) وبيَّن فيه ما ينبغي على البليغ أن يعرفهُ من أسرار للتقديم والتأخير مع همزة الاستفهام في الجملتين الفعلية والإسمية والفروق في ذلك بين أنْ يلي همزة الاستفهام الفعل، أو يليها الاسم، وبين أن يكون الفعلُ مضارعاً أو ماضياً. يقول:

" وهذه مسائلٌ لا يستطيع أحدٌ أنْ يمتنع من التَّفرقة بين تقديم ما قُدِّم فيها وتَرِك تقديمه.

ومن أبْينُ شيء في ذلك (الاستفهام بالهمزة)، فإنَّ موضع الكلام على أنَّك إذا قلتَ: (أفعلتَ؟) فبدأتَ بالفعل، كان الشَّك في الفعل نفسهُ وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجودهُ..

وإذا قلتَ: (أأنت فعلت ؟) فبدأت بالاسم كان الشَّك في الفاعل من هو؟ وكان التَّردد فيه".[1]

ويقول أيضاً في الفروق بين تقديم الفعل وتقديم الاسم والفعل ماضٍ مع الاستفهام: " ومما يُعلم ضرورةً أنَّه لا تكون البداية بالفعل كالبدايةِ بالاسم أنَّك تقول: (أقلت شعراً قط؟) ،(أرأيت اليوم إنساناً؟) فيكون كلاماً مستقيماً. ولو قلت: (أأنت قلت شعراً قط؟)، (أأنت رأيت إنساناً؟) أحلْتَ[2]، وذلك أنَّه لا معنى للسُّؤال عن الفاعل من هو في مثل هذا، لأنَّ ذلك إنَّما يتصور إذا كان الإشارة إلى فعلٍ مخصوص نحو: (من قال هذا الشِّعر؟) و(من بنى هذه الدَّار؟)... ولو كان تقديم الاسم لا يُوجب ما ذكرنا، من أنْ يكون السَّؤال عن الفاعل من هو؟ وكان يصح أنْ يكون سؤالاً عن الفعل أكان أم لم يكن؟ لكان ينبغي أنْ يستقيم ذلك"[3]

---

(1) دلائل الإعجاز، ص111.

(2) أي أتيت بالمُحال.

(3) دلائل الإعجاز، ص112، 113.

ويستخلص عبد القاهر من التَّقديم والتَّأخير مع همزة الاستفهام قاعدةً بلاغية مفادُها: أنَّ ما يلي همزة الاستفهام مباشرةً اسماً كان أم فعلاً فهو المستفهَم عنهُ إذا كان الاستفهام حقيقياً، والمقرر به أو المُنْكر به أو عليه في الاستفهام البلاغي.

ولكن ما يجب التَّنبه له أنَّ ما ذكرهُ الإمام عبدالقاهر وهو بصدد تقريره للقاعدة المذكورة آنفاً لا يجوز تطبيقه حرفياً على جميع الاستفهام الوارد في القرآن الكريم دون مراعاة للمستفهِم والمستفهَم ومعرفة منزلتهما وقدرهما؛ إذ لا يجوز في الاستفهام الصَّادر عن اللَّه عزَّ وجل حتى ولو بعد صرف الاستفهام عن مورد الحقيقة أنْ يُنسب إلى اللَّه الشَّك أو التَّردد عندما يُقرر بالفعل أو الفاعل. كما يجب مراعاة حال المستفهَم هل هو بشراً عادياً أم نبياً من لأنبياء.

وكل من يتجاهل هذه الحقيقة – أي ضرورة مراعاة مكانة المستفهِم والمستفهَم – سينزلق إلى مزالق خطيرة وقع فيها بعض الباحثين عند توجيه قولهُ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ﴾[1] وستمر بنا قريباً.

أولاً: الابتداء بالفعل الماضي وإيلاؤه همزة الاستفهام مما ورد به في آيات الأحكام قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾[2]

(1) سورة المائدة الآية(116).

(2) سورة البقرة الآية(80).

يقول الفخر الرّازي[1](ت606هـ): " قوله تعالى: ﴿أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾ ليس باستفهام بل هو انكار؛ لأنَّهُ لا يجوز أنْ يجعل{اللَّه} تعالى حجة رسوله في إبطال قولهم أنْ يستفهِمَهمْ".[2]

وقول الفخر الرَّازي: " ليس باستفهام بل هو انكار" يقصدُ به أنَّ هذا الاستفهام غير حقيقي بل هو بلاغي بمعنى الإنكار أنْ يكونواْ قد اتخذواْ عند اللَّه عهداً.

وقد أُبتدِئَ بالفعل الماضي (اتَّخذَ) وَوُلِّيَ همزة الاستفهام الإنكاري لأنهُ هو محط الإنكار، أي إنكار أنْ يكون الاتخاذ قدْ كان من أصلهِ[3] ونفيٌ لهُ.

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾[4]

أُبتدِئ بالفعل الماضي وَوُلِّيَ همزة الاستفهام الإنكاري لأنَّهُ هو محط الإنكار، أي إنكار أن يكون الفعل قد كان أصلاً. [5]

كما في الآية تقديمٌ آخر وهو" نفي اختصاصهُ بالبنين على نفي دعوى اختصاصهُ – عزَّ وجلَّ – بالإناث لأنَّه المهم عندهم".[6]

﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾[7]أُبتدِئَ بالفعل الماضي (كَفرَ) وَوُلِيَ همزة الاستفهام الإنكاري لأنَّهُ هو محط الإنكار، أي إنكارٌ للكفرِ لمَ كان

---

(1) هو محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أَبو عبداللَّه فخر الدِّين الرَّازي، الإمام المفسِّر، وهو قرشي النَّسب أصله من طبرستان ومولده في الرَّي وإليها يُنسب، يقال له (ابن خطيب الرَّي) رحل إلى خوارزم وما وراء النَّهر وخراسان وتوفي في هراة سنة ست وستمائة من الهجرة. انظر ترجمتهُ: الأعلام للزَّركلي،ج6، ص313. طبقات النَّسابين، ص22.

(2) التَّفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدّين محمَّد بن عمر الفخر الرَّازي، دار الكتب العلمية –بيروت، ط1، 1411هـ–1990م، ج3، ص131.

(3) دلائل الإعجاز، ص114.

(4) سورة الإسراء الآية(40).

(5) دلائل الإعجاز، ص114.

(6) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج2، ص207.

(7) سورة الكهف الآية(37).

وتوبيخ لفاعِله عليه. [1] وأُوثِرَ التَّعبير بالماضي(أكفرتَ)" للدلالة على تحقُق وقوع الكفر من صاحب الجنتين" [2]الذَّي وُجِّه إليه هذا الاستفهام.

(أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ)[3]أُبتدِئ بالفعل الماضي(حَسِبَ) الماضي(حَسِبَ) وَوُلِيَ همزة الاستفهام الإنكاري لأنهُ محط الإنكار. [4]

والمُنْكر في هذا الاستفهام أمران:

الأول: حسبانهم – ظنهم – أنَّ اللَّه خلقهم للعبث دون حكمة حكيمة من خلقهم.

الثَّاني: حسبانهم أنهم بعد موتهم لا يُبعثون.[5]

(قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ)[6]أُبتدِئ بالفعل الماضي (اتَّخذَ) (اتَّخذَ) وَوُلِيَ همزة الاستفهام الإنكاري لأنَّه هو محط الإنكار، أي إنكار الاتِّخاذ لم كان وتوبيخ لفاعله عليه. [7] "والإنكار متضمن للنهي كما يدل المقام".[8]

(وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ)[9] أُبتدِئَ بالفعل الماضي (أجعلنا) وَوُلِيَ همزة الاستفهام الإنكاري والتَّقريري معاً لأنَّ هذا الجعل هو محط الإنكار والنفي، وكذلك لأنَّهُ هو المقرر بهِ. [10]

" وأُوثِر الماضي (جعلنا) لأنَّ المراد تقرير خلو الرسالات السَّابقة من السَّماح بعبادة غير اللَّه. وليس معنى هذا أنَّ السَّماح بها في الحال والاستقبال محتمل.." [11] فهذا النَّفي

---

(1) دلائل الإعجاز، ص114.

(2) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج2، ص243.

(3) سورة المؤمنون الآية(115).

(4) دلائل الإعجاز، ص114.

(5) التَّفسير البلاغي للاستفهام،ج3، ص32.

(6) سورة الرَّعد الآية(16).

(7) دلائل الإعجاز، ص114.

(8) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج2، ص152.

(9) سورة الزُّخرف الآية45.

(10) دلائل الإعجاز، ص114.

(11) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج4، ص57.

شاملٌ للرِّسالات السَّماوية منذ آدم – عليه السَّلام– إلى خاتم الأنبياء محمَّد – صلى اللَّه عليه وسلَّم – ويستمر الإنكار لعبادة غير اللَّه إلى قيام السَّاعة.

(ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ)[1] أُبتدئ بالفعل الماضي(أشفق) ووُلِيَ همزة الاستفهام التَّقريري لأنَّه هو المقرر به. [2]

ثانياً: تقديم الفاعل على الفعل الماضي وإيلاؤه همزة الاستفهام في نحو قوله تعالى:

(وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ)[3]

قُدِّم الفاعل الضمير(أأنْت) ووُلي همزة الاستفهام التَّقريري لأنّه هو المقرر به. [4] ولكن تقرير الفاعل هنا ليس مراداً لذاته وإنما لغرض آخر ستكشف عنه السَّطور التَّالية.

إنَّ الاستفهام في هذه الآية لهُ خصوصية توجب مراعاة مكانة المستفهِم والمستفهَم؛ فالمستفهِم هو اللَّه عزَّ وجل، والمستفهَّم هو عيسى عليه السَّلام.

والمعروف عند البلاغيين أنَّ ما يلي همزة الاستفهام هو المسئول عنهُ في الاستفهام الحقيقي، والمقرر به أو المنكر به في الاستفهام البلاغي، وفي ذلك يقول الإمام عبدالقاهر: " وإذا قلت: (أأنت فعلت؟ فبدأت بالاسم كان الشَّك في الفاعل من هو؟ وكان التَّردد فيه"[5]، ثمَّ يقول بعد ذلك: " واعلم أنَّ هذا الَّذي ذكرتُ لك هو في الهمزة – وهي للاستفهام – قائمٌ فيها إذا كانت هي للتَّقرير. فإذا قلت: (أأنت فعلت ذاك؟)، كان غرضك أن تقرره بأنَّه الفاعل".[6]

---

(1) سورة المجادلة الآية(13).

(2) دلائل الإعجاز، ص113، 114.

(3) سورة المائدة الآية(116).

(4) دلائل الإعجاز، ص113، 114.

(5) راجع ص128 من هذا البحث.

(6) دلائل الإعجاز، ص113.

فلو طبِّق ذلك على هذا الاستفهام، أنَّهُ لتقرير الفاعل وتردُّدٌ فيه هل القائل هو أم غيره، فهل يجوز أنْ يكون هناك شكٌ من جانب اللَّه– عزَّ وجل – في أنَّ عيسى– عليه السَّلام – قد يكون قال هذا القول؟!

أقول أنَّه لا يجوز تطبيق هذه القاعدة البلاغيَّة تطبيقاً حَرفياً على الاستفهام الصَّادر عن اللَّه – عز وجل – لأنَّهُ ينتج عن ذلك ما يتنافى مع ما يجب على المسلم معرفتهُ في حق اللَّه تعالى، وما لا يجب في حقهِ، وما يجوز في حق الرُّسل وما لا يجوز. لذلك نجد عبد القاهر– نفسهُ – الواضع لهذه القاعدة لم يأت بهذه الآية شاهداً على كلامه لما فيها من خصوصية وإنَّما استشهد لها[1]بقوله تعالى – حكايةً على لسان قوم إبراهيم عليه السَّلام: ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾[2]، وبالرُّغم من أنَّ صياغة الآيتين واحدة؛ بتقديم الفاعل والفعل ماضٍ، إلا أنَّ الفارق الجوهري بين الآيتين هو المستفهِمُ؛ وهو في آية الأنبياء بشرٌ يعتريهم الشَّك والخلط وعدم العلم بالغيب وهم قوم إبراهيم عليه السَّلام. وفي آية المائدة هو اللَّه علام الغيوب. وقد خُتمت الآية نفسها بإثبات هذه الصِّفة له جلَّ شأنهُ.

وأحسن ما قيل في هذا الاستفهام هو ما ذكرهُ الإمام الألوسي[3](ت:1270هـ) أنَّهُ: " توبيخاً للكفرة، وتبكيتاً لهم بإقراره عليه السَّلام على رؤوس الأشهاد بالعبودية للَّهِ وأمرِهم بعبادته عزَّ وجلَّ".[4]

ونحوه ما ذكرهُ صاحبُ(التَّحرير والتَّنوير) ولكنهُ دونهُ في المعنى بقولهِ: " فالاستفهام– هنا– كالاستفهام في قوله تعالى: ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ ﴾[5]واللَّه يعلم أنَّ عيسى لم يقل ذلك، ولكن ولكن أريد إعلان كذب من كفر من النَّصارى".[6]

---

(1) انظر: دلائل الإعجاز، ص113.

(2) سورة الأنبياء الآية(62).

(3) انظر ترجمتهُ: ص117 من هذا البحث.

(4) روح المعاني، ج7، ص64.

(5) سورة المائدة الآية(109).

(6) التحرير والتَّنوير، ج7 ،ص112.

فإذا كان اللَّه عالماً بالجواب، وعيسى عليه السَّلام أيضاً هو عالمٌ بما قال، وأنَّهُ لم يقل هذا بل (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ)[1]فوجب أنْ يكون للاستفهام مغزىً: وهو أنْ يسأل اللَّه عزَّ وجلَّ، ويُجيبُ عيسى – عليه السَّلام – فيجري الكلام مجرى الاستفهام تبرئةً لعيسى –عليه السَّلام – وتكذيباً لقومهِ وتقريعاً وتبكيتاً لهم على سبيل الزامهم بالحجة الدَّامغة.

فالاستفهام إذاً " للتقرير بما يعرفه عيسى – عليهِ السَّلام – من هذا الحكم وهو أنَّهُ لم يقل هذا القول، وليس المراد التَّقرير بالفاعل فاعلٌ لهذا القول لأنَّ ذلك مستحيلٌ على عيسى (عليه السَّلام)".[2]

وهذه إحدى الباحثات –عفا اللَّه عنها وعنا – لعلَّها لم تفطن إلى الفارق الجَّوهري بين أسلوب الاستفهام في آيتي المائدة والأنبياء، وضرورة مراعاة مكانة المستفهِم والمستفهَم في الأولى أي (آية المائدة) فوقعت في خطإٍ عظيم؛ فهي بعد أنْ عرَّفت بمعنى التَّقرير: أنّهُ حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمرٍ قد استقرَّ عندهُ ثبوته أو نفيه، وحدَّدت مواقعه بأنَّه قد يكون تقريراً بالفعل نحو: (أضربت عمراً؟) أو بالفاعل نحو: (أأنت ضربت عمراً؟) أو بالمفعول نحو(أعمراً ضربت؟)[3]، تقول: " والاستفهام هو أنَّ الاستفهام ممن لا يعلمْ لمن يعلمْ، أو يتوهَّم من العِلم ليَعلم؛ كقوله تعالى: (ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ)[4]، أما التَّقرير ممن يعلم ليثبت على فعلِهِ فيكون جزاءً أو يتحقق أنَّه فعلهُ عن قصدٍ؛ كقولهِ تعالى: (قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ)[5]".[6]

---

(1) سورة المائدة الآية(117).

(2) المعاني في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتَّاح لاشين، دار الفكر العربي –القاهرة، ط4، 2003م، ص136.

(3) الهمزة في اللُّغة العربية، خالدية محمود البيَّاع، دار مكتبة الهلال –بيروت، 1995، ص206. وهو في الأصل رسالة تقدَّمت بها الباحثة لنيل درجة الدُّكتوراة من كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة بيروت.

(4) سورة المائدة الآية(116).

(5) سورة الشُّعراء الآية(18).

(6) الهمزة في اللُّغة العربية، ص206.

فهي جعلت الاستفهام الذي في قوله تعالى: (ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ) نظيراً للاستفهام الَّذي وضَّحت به التَّقرير بالفاعل(أأنت ضربت عمراً؟)، لعلَّها لم تر فيه سوى تطابق الصِّياغة والشكل ولم تتمعَّن في مضمونه وعمَّن صدر، فسلبت عمن صدر منه الاستفهام –وهو اللَّه عزّ وجل – صفةٌ تكرر إثباتها لهُ في ذات الآية التي استشهدت بها ثلاث مرات: (إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ)، (تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ)،(إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ)؛ وهي صفة العلم!! – تعالى اللَّه عن ذلك.

(قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ)[1] قُدِّم الفاعل(اسم الجلالة: اللَّه) وَوُلِيَ الاستفهام الإنكاري لإنكار أنْ يكون اللّه أذنَ لهم في ذلك، أو انكار أنْ يكون الإذن قد كان من اللَّه أصلاً، من غير أنْ يكون هذا الإذن قد كان لهم من غير اللَّه فنسبوهُ إلى اللَّه. وقد أُخرج اللَّفظ في هذا الاستفهام مخرج الانكار في الفاعل، إلا أنَّ المراد هو إنكار الفعل من أصله، وهو ما عبَّر عنه عبد القاهر بقوله: " وقد يكون أنْ يراد إنكار الفعل من أصله، ثُمَّ يخرج اللَّفظ مخرجهُ إذا كان الإنكار في الفاعل".[2]

ثالثاً: تقديم المفعول على الفعل الماضي وإيلاؤه همزة الاستفهام:

(ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا)[3] قُدِّم المفعول به(الذَّكرين) وَوُلِيَ همزة استفهام الإنكاري غير أنَّ المراد إنكار أنْ يكون التَّحريم قد كان منْ أصلهِ فعدل عنْ إيلاء الفعل (حرَّم) همزة الاستفهام إلى إيلاء الأصناف الَّتي وقع عليها التَّحريم المزعوم (الذَّكرين) للهمزة وفي

(1) سورة يونس الآية(59).

(2) دلائل الإعجاز، ص115.

(3) سورة الأنعام، الآيتان(143، 144).

ذلك إخراجٌ لها من حكم التَّحريم المزعوم إلى حكم التَّحليل الَّذي كانت عليهِ، فأُخرج اللَّفظ مخرج الإنكار في المفعول، وقد" أُخرج اللَّفظ مخرجهُ إذا كان قد ثبت تحريم في أحدَ أشياءَ ثُمَّ أُريد معرفةُ عين المحرَّم مع أنَّ المراد إنكارُ التَّحريم من أصله، ونفي أن يكون قد حُرم شيءٌ مما ذكرواْ أنَّه محرَّمٌ. وذلك أنَّ الكلام وُضع أنْ يجعل التّحريم كأنَّهُ قد كان ثُّم يُقال لهم: (أخبرونا عن هذا التَّحريم الَّذي زعمتم، فيم هو؟ أفي هذا أم ذاك أم في الثَّالث؟) ليتبيَّن بطلان قولهم ويظهر مكان الفِرية منهم على اللَّه تعالى".[1]

(1) دلائل الإعجاز، ص115.

المطلب الثَّالث: التّقديم والتَّأخير في الجملة الفعلية الاستفهامية الَّتي فعلها مضارع:

أما عنْ تقديم الاسم وتقديم الفعل وهو مضارعٌ مع الاستفهام فقد ذكر الإمام عبدالقاهر[1]فيه كلاما طويلاً سأضطر إلى نقله هنا بطولهِ؛ لقيمتهِ ولأنَّه هو الذي سأهتدي به عند توجيه الآيات الواردة في ذلك. يقول:

" والقول في ذلك أنَّكَ إذا قلت: (أتفعل؟) و (أأنت تفعل؟)لم يخل من أنْ تريد الحال أو الاستقبال فإنْ أردت الحال كان المعنى شبيهاً بما مضى في الماضي، فإذا قلت: (أتفعل؟) كان المعنى على أنَّك أردت أنْ تقرره بفعلٍ هو يفعله وكنت كمن يوهم أنَّه لا يعلم بالحقيقة أنّ الفعل كائن. وإذا قلت: (أأنت تفعل؟) كان المعنى على أنَّك تريد أنْ تقررهُ بأنَّه الفاعل وكان أمر الفعل في وجوده ظاهراً، بحيث لا يحتاج إلى الإقرار بأنَّه كائنٌ، وإنْ أردتَ بـ(تفعل) المستقبل كان المعنى إذ بدأتَ بالفعل على أنَّك تعمد بالإنكار إلى الفعل نفسهُ، وتزعم أنَّهُ لا يكون، أو لا ينبغي أنْ يكون... فإنْ بدأت بالاسم فقلت: (أأنت تفعل؟) أو قلت: (أهو يفعل؟) كنت وجَّهت الإنكار إلى نفس الفعل المذكور وأبيت أنْ يكون بموضع أنْ يجيئ منهُ، وأنْ يكون بتلك المثابة".[2]

أولاً: الابتداء بالفعل المضارع وإيلاؤهُ همزة الاستفهام مما ورد بذلك قوله تعالى:

(أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[3] أُبتُدِئ بالفعل المضارع (تأمرون) وَوُليَ همزة الاستفهام لأنَّهُ هو المقرر به[4] ، مع مراعاة ألَّا يُحمل المستفهم هنا على أنَّهُ كمن يوهم أنَّهُ لا يعلم بالحقيقة إنَّ أمْر أَهْل الكتاب لغيرهم بالبر وتركهم له هم أنفسهم قد كان؛ لأنَّ المستفهِم هنا هو اللَّه (عزَّ وجل)، وهذا يطَّرد في كلِّ استفهامٍ صادرٌ عنهُ عزَّ وجلَّ.

---

(1) انظر ترجمتهُ: ص37 من هذا البحث.

(2) دلائل الإعجاز، ص116،117.

(3) سورة البقرة الآية44.

(4) دلائل الإعجاز، ص116.

والتَّقرير هنا مقصودٌ به الواقع لا الوقوع لأنَّ المقرر به بالفعل قد كان، يقول الزَّمخشري[1](ت:538هـ) " (أتأمرون) الهمزة للتقرير مع التَّوبيخ والتَّعجيب من حالهم"[2]من حالهم أي واقعهم.

(أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)[3] أُبتُدِئَ بالفعل المضارع (تطمعون) وَوُلِيَ همزة الاستفهام الإنكاري لأنَّهُ هو محط الإنكار أي أنَّه لا ينبغي أنْ يكون. [4] وهو لإنكار الواقع لا الوقوع، يقول أَبو السُّعود[5] (ت898هـ): " (أَفتطمعونَ) .. الهمزة لإنكار الواقع واستبعادهُ كما في قولك: (أتضرب أباك؟) – يعني لمن يضرب أباهُ فعلاً – لا لإنكار الوقوع، كما في قولهِ: (أأضرب أبي؟) ".[6]

(أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)[7]أُبتُدِئَ بالفعل المضارع (تؤمنون) وَوُلِيَ همزة الاستفهام لأنَّهُ محط الإنكار أي لا ينبغي أنْ يكون منهم ذلك . [8] وفي إيثار التعبير بالفعل المضارع (تؤمنون) و (تكفرون) " إشارة إلى التَّجدد في الموضعين".[9]

(أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ۗ)[10] أُبتُدِئَ

(1) انظر ترجمته: ص47 من هذا البحث.
(2) الكشاف، ج1، ص129.
(3) سورة البقرة الآية(75).
(4) دلائل الإعجاز، ص116.
(5) انظر ترجمتهُ: ص117 من هذا البحث.
(6) تفسير أبي السُّعود، ج1، ص116
(7) سورة البقرة الآية(85).
(8) دلائل الإعجاز، ص116.
(9) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج1، ص80.
(10) سورة البقرة، الآية(266).

بالفعل المضارع (يود) وَوُلِيَ همزة الاستفهام الإنكاري لأنَّه هو محط الإنكار أي أنَّهُ لا ينبغي الانشغال بحبِّ الملذات دون التَّفكير في عواقبها وخواتمها الأليمة.[1]

يقول صاحب (التَّحرير والتَّنوير): " والاستفهام في قوله: (أيود أحدكم) استفهام إنكار وتحذير".[2]

(قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ)[3]

ٱلْعَلِيمُ)[3] أُبتُدِئَ بالفعل المضارع (تعبدونَ) وَوُلِيَ همزة الاستفهام لأنَّهُ هو محط الإنكار أي عبادة غير اللَّه مما لا ينبغي أنْ لا يكون[4]" وهو للواقع لا الوقوع، لأنَّ إنكار الواقع حالاً بمعنى لا ينبغي أنْ يكون مُسْتلزِمٌ لإنكاره مئالاً للاشتراك في علة الإنكار وهي كون العبادة لغير اللَّه".[5]

وفي إيثار التَّعبير بالفعل المضارع (تعبدون) " لتقوية الإنكار على عبادةٍ هم متلبِّسون بها ساعة توجيه الخطاب إليهم. ولو جيءَ بالماضي بدل المضارع لما أفاد هذا المعنى".[6] ونحو هذا قولهُ تعالى: (قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ).[7]

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ)[8]أُبتدِئَ)[8]أُبتدِئَ بالفعل المضارع (تتَّخذ) وَوُلِيَ همزة الاستفهام الإنكاري لأنَّه محط الإنكار[9] أي أنكار اتِّخاذ غير اللَّه معبوداً وصرف العبادة له. وهو لإنكار الواقع.

---

(1) دلائل الإعجاز، ص116.

(2) التَّحرير والتَّنوير، ج3، ص54.

(3) سورة المائدة الآية(76).

(4) دلائل الإعجاز، ص116.

(5) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج1، ص266.

(6) المصدر السابق، ج2، ص382.

(7) سورة الأنبياء الآية(66).

(8) سورة الأنعام الآية(74).

(9) دلائل الإعجاز، ص116.

(أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ)[1] أُبتُدئَ بالفعل المضارع (يشركون) وَوُلِّيَ همزة همزة الاستفهام الإنكاري لأنَّهُ هو محط الإنكار[2] أي إنكار أنْ يُشرَك مع اللَّه الخالق مخلوقاً من مخلوقاته لا يملك شيئاً لأنَّهُ لا يَخلق. " والإنكار فيهِ منصبٌّ على الواقع لأنَّ عبادة الأصنام في عصر النزول قد وصلت ذروتها وبخاصة عند العرب.[3]

(أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ)[4] أُبتدئَ بالفعل المضارع (تبنون) وَوُلِّيَ همزة الاستفهام لأنَّهُ هو محط الإنكار[5] أي أنْ تكون عمارة الأرض بالبناء لمجرَّد العبث والمبالغة في اللَّهو والانشغال بالمظاهر المادِّية عن الخالق. وفي إيثار التَّعبير بالمضارع (تبنون) " للدلالة على أنَّ هذا العمل ديدنهم – أي قوم هود عليه السَّلام – وعادتهم لا يتوقَّفون عنه إلَّا ريثما يعودون إليه مرَّةً أُخرى".[6]

(أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ)[7]، ونحوهُ: (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ)[8] أُبتُدِئَ بالفعل المضارع (تأتون) وَوُلِّيَ همزة الاستفهام الإنكاري في الموضعين، لأنَّه محط الإنكار أي لا ينبغي أنْ يكون[9] إتيان الذُّكور من دون النَّساء، وهو إنكارٌ للواقع والوقوع معاً. " فلوطٌ (عليه السَّلام) أنكر عليهم الواقع الفعلي منهم، وأنكر عليهم أنْ يقع ذلك منهم بعد النَّهي والتَّحذير".[10]

ومن المؤسف أنْ يُلصق اسم فاحشة إتيان الذَّكور – في التُّراث الإسلامي في كتب الفقه وغيرها – بالنَّبي لوط (عليه السّلام) وهو منها بريء، فتسمى بـ(اللَّواط) ويُسمى فاعلها(لوطي) وهذا مما لا يجوز في حقِّهِ بصفتهِ نبياً من الأنبياء وتغيِير هذا

---

(1) سورة الأعراف الآية(191).

(2) دلائل الإعجاز، ص116.

(3) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج1، ص431.

(4) سورة الشُّعراء الآية(128).

(5) دلائل الإعجاز، ص116.

(6) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج3، ص109.

(7) سورة الشُّعراء الآية(165).

(8) سورة النَّمل الآية(54).

(9) دلائل الإعجاز، ص116.

(10) التَّفسير البلاغي للاستفهام،ج3، ص114.

الأمر واجبٌ على المسلمين وفي مقدِمتهم العلماء والدُّعاة، ومجامع الفقه واللُّغة العربية، ووسائل الإعلام بمختلف أنواعها.

وأتطوع هنا باقتراح اسم بديل لها؛ وهو أنْ تُنْسَب إلى قريتهم سَدُوم فتُسمَّى (فعل سَدُوم) ويُسمَّى فاعلها (سَدُومي).

(أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ)[1] أُبتُدِئَ بالفعل المضارع (تدعونَ) وَوُلِّيَ همزة الاستفهام الإنكاري لأنَّه هو وما عُطف عليه (تذرون) هُما محط الإنكار أي أنَّه لا ينبغي[2] دعاء الآلهة الزَّائفة والاستغاثة بها وترْك الإله الحق. وفي إيثار التَّعبير بالفعل في (تَدْعون، تَذَرون)" لتوجيه الإنكار على الدُّعاء والتَّرك في الحال والاستقبال".[3]

وفي هذه الآية كان يمكن استخدام مرادف تذرون في المعنى وهو(تَدَعُون) –بفتح الدَّال – ليكون هناك جناساً مستوفياً بين (تَدْعُونَ) و(تَدَعُونَ) ولكنهُ تُرِك التَّجنيس لأُمورٍ أجاب عنها العلماء منْ أبرزها:–

إنَّه في ذلك نوعٌ من التَّكلُّف، والجناس المتكَلَّف غير ممدوح عند البلغاء ولا يُمدح عندهم مالم يجيءَ عفواً بطريق الاقتضاء، فإذا كان ذلك من النَّقائص في كلام البشر فمن باب أَولى أَن لا يكُنْ في كلام اللَّه تعالى.

إنَّ التجنيس تحسينٌ وإنَّما يُستعْمل في مقام الرِّضا والإحسان لا مقام الغضب والتَّهويل، وردَّ الإمام الألوسي[4]ذلك بأنه وقع في مقام الغضب أيضاً في نحو قوله تعالى:(وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ).[5]

إنَّ (دَعْ) أمرٌ بالتَّرك قبل العِلْم و(ذَرْ) أمرٌ بالتَّرك بعد العِلْم بالشَّيءِ.

إنَّ لإنكار كلٍّ من فعلَي دُعاء بعْل وترْك أَحسن الخالقين علةٌ غير علَّةِ إنكار الآخر فتُرِك التَّجنيس رمزاً إلى شُدَّةِ المغايرة بين الفعلين.

---

(1) سورة الصَّافات الآية(125).

(2) دلائل الإعجاز، الآية116.

(3) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج3، ص383.

(4) انظر ترجمتهُ: ص117 من هذا البحث.

(5) سورة الرُّوم الآية(55).

إنَّ (يَدعْ) إنَّما استعملتْهُ العرب في التَّرْك الَّذي لا يُذَمَّ مرتكبهُ لأنَّهُ من الدِّعةِ بمعنى الرَّاحة، وأمَّا (يذَرْ) فهي بخلافهُ لأنَّهُ يتضمَّنُ إهانةً وعدم اعتدادٍ لأنَّهُ من الوَذرِ وهي قطعة اللَّحم الحقيرة الَّتي لا يُعْتد بها ويؤيِّد ذلك قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[1]، ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2] وغير ذلك.

إنَّ (يَدع) أَخصّ من (يذر) لأنَّ الأوَّل هو تَرْك الشَّيء مع اعتناءٍ به بشهادة الاشتقاق نحو الإيداع فإنَّهُ ترك الوديعة مع الاعتناء بحالها ولهذا يُختار لها من هو مؤتمنٌ عليها، ونحوه موادعة الأحباب، وأما (يَذر) فمعناهُ التَّرْك مطلقاً أو مع الإعراض والرَّفْض.[3]

أنَّهُ تُرِكت المجانسةُ بين (يدعْ) و(يَذرْ) وخُولِف بين الفعلين في الرَّسم لِقصد المخالفة بين مقام اللَّه عزَّ وجلَّ، ومقام الأصنام.[4]

وكلَّ ذلك من الإعجاز البياني في القرآن الكريم الَّذي تحدَّى اللَّه به العرب.

ثانياً: تقديم الفاعل على الفعل المضارع وإيلاؤهُ همزة الاستفهامَ مما ورد به قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[5]

قُدِّم الفاعل الضمير (أنْت) وَوُلِي همزة الاستفهام الإنكاري لأنَّهُ هو المُنْكَر عليه أنْ يكون بموضع أنْ يجيء منْه هذا الفعل[6]؛ أي إكراه النَّاس على الإيمان؛ وهو النَّبي – صلَّى اللَّه عليه وسلَّم – لأنَّهُ لا يقدَر على ذلك إلَّا اللَّه وحْدهُ الَّذي خلقهم.

يقول الزَّمخشري[7](ت:538هـ): " يعني إنَّما الَّذي يقدِر على إكراههم واضطرارِهم إلى الإيمان هو– أي اللَّه – لا أنْت، وإيلاء الاسم حرف الاستفهام للإعلام بأنَّ الإكراهُ ممكنٌ مقْدور عليه، وإنَّما الشَّأْنُ في المكْره من هو؟ وما هو إلَّا هو– أي اللَّه – لا

---

(1) سورة الأنعام الآية112.

(2) سورة البقرة الآية(278).

(3) روح المعاني، ج23، ص140، 141. وهي تسعة أجوبة حكى الألوسي بعضها وقال بعضها

(4) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج3، ص384.

(5) سورة يونس الآية(99).

(6) دلائل الإعجاز، ص117.

(7) انظر ترجمته: ص47 من هذا لبحث.

يُشارَك فيه؛ لأنَّهُ هو القادر على أنْ يفعل في قلوبهم ما يضطَّرُّون عندهُ إلى الإيمان، وذلك غير مستطاعٌ للبشر".[1]

وتقديم الفاعل(أنْت) هو ليس لإفادة القصر لأنَّ اللَّه –عزَّ وجلَّ– لا يُكرِهْ أحدٌ على فعل شيءٍ، كما أنَّ الإكراه المذكور في الآية مقصودٌ به حرص النَّبي – صلى اللّه عليه وسلَّم – الشَّديد على هداية كافة النَّاس وغرس الإيمان في قلوبهم وتحمُّلهِ المشاق في سبيل ذلك لا أنَّهُ حاول إكراههم على الدُّخول في الإسلام فِعلاً، " فنُزِّل النَّبي – صلى اللَّه عليه وسلَّم – لحرصهِ على إيمان أَهْل مكة وحثيثُ سعْيهِ لذلك بكُلِّ وسيلةٍ صالحةٍ منْزلةَ منْ يحاول إكراههم على الإيمان، حتَّى ترتَّب على ذلك التَّنزيل إنكارهُ عليهِ".[2]

(قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ)[3] قُدِّم الفاعل (صلاتُكَ) وَوُلِيَ همزة الاستفهام الإنكاري لأنها هي الَّتي أنكروها[4] أنْ تكون الآمرة لهُ أنْ يأمرهم بترك عبادة الأصنام وأكل أموال النَّاس النَّاس بالباطل. " وكان شُعيب عليه السَّلام كثير الصَّلوات، وكان قومه إذا رأَوهُ يُصَلِّي تغامزواْ وتضاحكواْ فقصدواْ بقولهم: (إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) السُّخرية والهُزء..".[5] (5)

(أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)[6] قُدِّم الفاعل الضمير (هُمْ) وَوُلِّيَ وَوُلِّيَ همزة الاستفهام الإنكاري لأنَّهم هم المنْكَر عليهم أنْ يكونواْ بموضع أنْ يجيء منْهم

(1) الكشَّاف، ج2، ص343، 344.

(2) التَّحرير والتَّنوير،ج11، ص293.

(3) سورة هود الآية87.

(4) دلائل الإعجاز، ص117.

(5) الكشَّاف، ج2، ص385.

(6) سورة الزُّخرف الآية(32).

هذا الفعل[1]؛ أي".. أنْ يكونواْ هم المدبِّرين لأمر النُّبوة، و التَّخيُّر لها منْ يصلُح لها ويقوم بها، والمتولِّين لقسمة رحمة اللَّه الَّتي لا يتولاها إلَّا هو".[2]

وهو لإنكار الواقع والوقوع معاً لذلك عُبِّر عنه بالفعل المضارع(**يَقْسِمُونَ**) ليشمل الإنكار والنَّفي جميع الأوقات والأحوال.[3]

ثالثاً: تقديم المفعول على الفعل المضارع وإيلاؤه همزة الاستفهام:

يقول عبد القاهر عن تقديم المفعول على المضارع مع الاستفهام: " واعلم أنَّ حال المفعول كما ذكرنا كحال الفاعل، أعني تقديم اسم المفعول يقتضي أنْ يكون الإنكار في طريق الإحالة والمنع من أنْ يكون بمثابة أنْ يُوقع به مثل ذلك الفعل، فإنْ قلت: (أزيداً تضرِبُ؟) كنت أنكرت أنْ يكون زيدٌ بمثابة أنْ يُضرَب، أو بموضع أنْ يُجْترأ عليه ويُستجاز ذلك فيهِ".[4]

ومما ورد بتقديم المفعول قولهُ تعالى: (**أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**)[5] قُدِّم المفعول (غيْرَ) على عامله (يبْغون) وَوُلِيَ همزة الاستفهام الإنكاري لأنَّ المفعول به هو محط الإنكار؛ أي إنكار أنْ يكون حكم الجاهلية بمثابة أنْ يُبْتغى ويُبْحث عنهُ، ويُتعبَّد به مع ترك دين اللَّه الحقّ؛ الإسلام. [6]

(**أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**)[7] قُدِّم المفعول به(حُكْمَ) على عاملهِ (يبْغون) وَوُلِّيَ همزة الاستفهام الإنكاري لأنَّهُ هو محط الإنكار أي إنكار أنْ يكون

---

(1) دلائل الإعجاز، ص117.

(2) الكشَّاف، ج4، ص133.

(3) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج4، ص50.

(4) دلائل الإعجاز،121.

(5) سورة آل عمران الآية(83).

(6) دلائل الإعجاز،ص121.

(7) سورة المائدة الآية(50).

حُكمُ الجاهليةِ بمثابة أنْ يُبْتغى[1]، وأنْ يُمال إليهِ وأنْ يُحكم به، وهو بعيدٌ عن الإنصاف والعدالة، وترْك حكم اللَّه العادل الَّذي حرَّم الظُّلْم على نفسه وجعلهُ بين النَّا س محرَّماً. وفي إيثار التَّعبير بالفعل المضارع (يبْغون) فيه إشارة إلى أنَّ ميلهم إلى حُكم الجاهلية كان يُراودهم منْ وقتٍ لآخر ولم يكن لحظةً ثُمَّ انقطع. [2]

(أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ)[3]

الاتِّخاذ كيفما كان مصدراً أو فعلاً لهُ مفعولان. وهنا هما (غيرَ) و (ولياً). وقد قُدِّم المفعول الأوَّل (غيرَ) على عامله (أَتَّخِذُ) وَوُلِّيَ همزة الاستفهام الإنكاري لأنَّه هو محط الإنكار؛ أي إنكار أنْ يكون غير اللَّه بمثابة أنْ يُتَّخذ ولياً[4]، سواء أكان هذا الاتِّخاذ مع مع اللَّه وهو الإشراك، أو من دون الله وهو الإلحاد.

وبهذا التَّقديم للمفعول الأوَّل على عامله ".. كان لهُ من الحُسنِ والمزيةِ والفخامةِ، ما تعلم أنَّه لا يكون لو أُخِر فقيل (قل أأتَّخِذُ غير اللَّه ولياً) .. وذلك لأنَّهُ قد حصل بالتَّقديم معنى قولك: (أيكون غير اللَّه بمثابة أنْ يُتَّخذ ولياً).. ولا يكون شيءٌ من ذلك إذا قيل: (أأتَّخذ غير اللَّه ولياً) وذلك لأنَّهُ حينئذٍ يتناول الفعل أنْ يكون فقط ولا يزيد على ذلك فاعرفهُ".[5]

ومثل ذلك يُقال في الآيتين: (أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ)[6]، (قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ).[7]

---

(1) دلائل الإعجاز، ص121.

(2) التَّفسير البلاغي للاستفهام،ج1، ص257.

(3) سورة الأنعام الآية(14).

(4) دلائل الإعجاز ،ص121.

(5) المصدَّر السَّابق، ص122،121.

(6) سورة الأنعام الآية(114).

(7) سورة الأنعام الآية(164).

(قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ)[1] قُدِّم المفعول به (غيرَ) على عامله (أبغيكم) وَوُلِّيَ همزة الاستفهام الإنكاري لأنَّهُ هو محط الإنكار[2] أي إنكار أنْ يكون غير اللّه بمثابة أنْ يتَّخذ معبوداً.

وتقديم المفعول (غيرَ) في الآية ليس لإفادة الاختصاص كما أشار إليه صاحب (التَّحرير والتَّنوير) [3] ؛لأنَّهُ يترتَّب على ذلك محظور شرعاً؛ وهو " أنّ موسى [عليه السَّلام] ينكر عليهم إفراد غير اللَّه بالعبادة، أما أنْ يشركواْ ذلك الغير مع اللَّه في العبادة فغير منْكرٌ عندهُ _ أي موسى عليه السَّلام – وهذا لا يليق".[4]

(وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ)[5] قُدِّم المفعول لفظ الجلالة (اللَّه) و ماعُطف عليه(آياتهِ ورسولهِ) على عامله (يستهزءون) وَوُلِّيَ همزة الاستفهام الانكاري لأنَّه هو محط الإنكار، أي إنكار أنْ يكون اللَّه عزَّ وجلَّ وآياته ورسولهِ بموضع أنْ يُجتراُ عليهم ويُستجاز فيهم[6] الاستهزاء واللَّعب والهزل، لأنَّ اللَّعب والهزل له حدودهُ ودوائرهُ الَّتي يجب ألَّا يتجاوزها وإلَّا أوقع صاحبهُ في المهالك.

(وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ)[7] قُدِم المفعول به (غير) على عاملهِ (تتَّقون) وَوُلِّي همزة الاستفهام الإنكاري لأنه محط الإنكار، أي إنكار أنْ يكون غير اللَّه بمثابة أنْ يُتَّقى[8] وأن يُطع عُقيب ما تقرر من أنَّ اللَّه هو الخالق والمالك لجميع الوجود "وكون الدِّين له واصباً – أي خالصاً – المستدعي تخصيص

---

(1) سورة الأعراف الآية(140).

(2) دلائل الإعجاز ،ص121.

(3)انظر: التَّحرير والتَّنوير ،ج9، ص83..

(4) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج1، ص405.

(5) سورة التوبة الآية(65).

(6) دلائل الإعجاز، ص121.

(7) سورة النَّحل الآية(52).

(8) دلائل الأعجاز، ص121.

التَّقوى به سبحانهُ".[1]

(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ)[2] قُدِّم المفعول المفعول به (إفكاً) على عامله (تريدون) وَوُلِّيَ همزة الاستفهام الإنكاري لأنَّهُ هو محط الإنكار أي إنكار أنْ تكون آلهتهم الباطلة بمثابة أنْ تُعبد،[3]لأنَّها لا وجود لها أصلاً لاستحالة وجود آلهة في الكون مع اللَّه. وأما إطلاقهم على الأصنام (آلهة) فهو وهْمٌ؛ لأنه اطلاقُ اسمٍ على غير مسمَّاهُ ، والوهْمُ والعدَمُ سواءٌ.

وفي إيثار المصدر (إفكاً) وتقديمهُ في الاستفهام للمبالغة في وصف آلهتهم وعبادتهم لها بالبطلان حتى صارت هي الإفك نفسه.[4]

(قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ)[5] قُدِّم المفعول به غير على عاملهِ (أعبُدُ) وَوُلِّيَ وَوُلِّيَ همزة الاستفهام الإنكاري لأنَّه محط الإنكار؛ أي إنكار أنْ يكون غير اللَّه بمثابة أنْ يعبد وأنْ يُؤمر بعبادتهِ.[6]

---

(1) تفسير أبي السُّعود، ج5، ص120

(2) سورة الصَّافات الآيات(85-87).

(3) دلائل الإعجاز، ص121.

(4) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج3، ص376.

(5) سورة الزُّمر الآية (64).

(6) دلائل الإعجاز، ص121.

المطلب الرَّابع: التَّقديم والتَّأخير في الجملة الإسمية الاستفهامية:

أولاً: تقديم المبتدأ وتأخير الخبر، مما ورد به قوله تعالى:

(وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ)[1] قُدِّم المُسند إليه أو المبتدأ (أنتم)على المُسند أو الخبر (شاكرون) لأنَّهُ هو المقرر به، وللتخصيص، وللزيادة في الحث على الشُّكر[2] مما لا نجدهُ إنْ قدَّمنا الخبر فقلنا: (فهل شاكرون أنْتم).

وأدواتُ الاستفهام الَّتي هي أسماء،[3]هي نفسُها لها موقعٌ من الإعراب، فتقع مبتدأً أَو خبراً أو غير ذلك، فمن المواضع الَّتي وقعت فيها مبتدأً من أسلوب الاستفهام في آيات الأحكام قولهُ تعالى:

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ)[4]

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)[5]

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا)[6]

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا)[7]

(فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ)[8]

---

(1) سورة الأنبياء الآية(80).

(2) المصباح، ص112.

(3) راجع ص38، 29 من هذا البحث.

(4) سورة البقرة الآية(114).

(5) سورة البقرة الآية(140).

(6) سورة الأنعام الآيتان(21، 93). وسورة هود الآية(18). وسورة العنكبوت الآية(68). ونحوها (بالفاء) في سورة الأنعام الآيتان(144، 157). وسورة الأعراف الآية(37). وسورة يونس الآية(17). وسورة الكهف الآية(15). و(بالواو) وتعريف (الكَذب) في سورة الصَّف الآية(7). راجع الآيات في الاستفهام بالأداة (مَنْ) ص89-91 من هذا البحث.

(7) سورة الكهف الآية(57). ونحوها في سورة السَّجدة الآية(22). بعطف أعرض بـ(ثُمَّ) بدل الواو.

(8) سورة الزّمر الآية(32).

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ)[1]

(فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ)[2]

قُدِّمت فيها المُبْتدئات (مَنْ) و (ما) على أخبارها لأنَّها ضُمِّنت ما لهُ صدر الكلام.[3] ولأنها هي المُقرر بِها.

ومما يستدعي المقام الإشارة إليه أنَّ تركيب (منْ أظْلم) معطوفاً على ما قبله بالواو أو الفاء ورد في القرآن الكريم خمسَ عشرةَ مرَّةً، كلّها داخل في موضوع هذه الدِّراسة.[4]

وقدْ سبب تكرار هذا الأسلوب في – القرآن الكريم – مُشْكلةً لِلْلُّغويين والبلاغيين والمفسِّرين حاصلها أنَّ أفعل التَّفضيل تُفيد مشاركة طرفين أو أطرافٍ في صفةٍ ما وأنَّ أحدهما زاد في تلك الصِّفة على الطَّرف الآخر.

وقد كان أوَّل ورود لهذا الأسلوب في القرآن في سورة البقرة عند قولة تعالى: **(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ)**[5] وبناءً على دلالة أفْعَل التَّفضيل كان ينبغي ألَّا يتكرَّر هذا التَّركيب مرَّةً أُخرى في القرآن الكريم، ليكونَ أظْلم الظَّالمين هو من عطَّل المساجد وسعى في خرابها، ولكنَّه تكرَّر مرَّاتٍ لِيُفيد أنَّ أظْم الظَّالمين هو من يكْتُمُ شهادة اللَّه، أو أنَّهُ الَّذي يكْذُبُ على اللَّه، أو أنَّه الَّذي يفتري الكَذِب على اللَّه، أو أنَّهُ الَّذي يُكذِّب بآيات اللَّه، أو أنَّه الَّذي يُعرض عن آيات اللَّه.

فبدأواْ يبْحثون عن المخرج بتأويلاتٍ كثيرة ولكنَّها غير شَافية منها ما حكاهُ أَبو حيَّان(ت:745هـ) عن بعضهم أنَّهُ " تَأَوَّلَ ذَلِكَ عَلَى أَنْ خُصَّ كُلُّ وَاحِدٍ بِمَعْنَى صِلَتِهِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: لَا أَحَدَ مِنَ الْمَانِعِينَ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ، وَلَا أَحَدَ مِنَ الْمُفْتَرِينَ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ، وَكَذَلِكَ بَاقِيهَا. فَإِذَا تَخَصَّصَتْ بِالصِّلَاتِ زَالَ عِنْدَهُ التَّنَاقُضُ.

---

(1) سورة فصِّلت الآية(33).

(2) سورة يوسف الآية(74).

(3) المصباح،ص112.

(4) راجع مواضع ورودها الخمسة عشر مجتمعة في هامش ص148 من هذا البحث.

(5) سورة البقرة الآية(114).

وَقَالَ غَيْرُهُ: التَّخْصِيصُ يَكُونُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى السَّبْقِ، لَمَّا لَمْ يَسْبِقْ أَحَدٌ إِلَى مِثْلِهِ، حُكِمَ عليها بِأَنَّهُمْ أَظْلَمُ مِمَّنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ، سَالِكًا طَرِيقَتَهُمْ فِي ذلك، وهذا يؤول مَعْنَاهُ إِلَى السَّبْقِ فِي الْمَانِعِيَّةِ، أَوِ الِافْتِرَائِيَّةِ "[1] إلى غير ذلك من التَّأويلات الَّتي لم يطمئنُّ إليها القلب.

ثُمّ قام أَبو حيَّان بتوجيه هذا الأسلوب بإجابتين أحسبهما شافيتين وكافيتين لاقتلاع جذور هذه المشكلة من أساسها، وتأكيد نفي وقوع التَّعارض في النّظم القرآني عامةً وفي هذا الأسلوب خاصةً – هما:

الأولى: " إِنَّمَا هَذَا نَفْيٌ لِلْأَظْلَمِيَّةِ، وَنَفْيُ الْأَظْلَمِيَّةِ لَا يَسْتَدْعِي نَفْيَ الظَّالِمِيَّةِ..وَإِذَا لَمْ يَدُلَّ عَلَى نَفْيِ الظَّالِمِيَّةِ لَمْ يَكُنْ تَنَاقُضًا، لِأَنَّ فِيهَا إِثْبَاتَ التَّسْوِيَةِ فِي الْأَظْلَمِيَّةِ. وَإِذَا ثَبَتَتِ التَّسْوِيَةُ فِي الْأَظْلَمِيَّةِ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِمَّنْ وُصِفَ بِذَلِكَ يَزِيدُ عَلَى الْآخَرِ، لِأَنَّهُمْ يَتَسَاوَوْنَ فِي الْأَظْلَمِيَّةِ ".[2]

الثَّانية: " أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ كُلَّهَا إِنَّمَا هِيَ فِي الْكُفَّارِ، فَهُمْ مُتَسَاوُونَ فِي الْأَظْلَمِيَّةِ، وَإِنِ اخْتَلَفَتْ طُرُقُ الْأَظْلَمِيَّةِ. فَكُلُّهَا صَائِرَةٌ إِلَى الْكُفْرِ، فَهُوَ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا يُمْكِنُ فِيهِ الزِّيَادَةُ بِالنِّسْبَةِ لِأَفْرَادِ مَنِ اتَّصَفَ بِهِ ".[3]

وقد تعرَّض لهذه القضية صاحب (التَّفسير البلاغي للاستفهام) وذكر فيها نحو ما سبق ذكرهُ ولم ينسبهُ لأبي حيَّان.[4]

---

(1) تفسير البحر المحيط، ج1، ص357.

(2) المصدر السَّابق، نفس الصفحة.

(3) المصدر نفسه، نفس الصفحة.

(4) انظر: التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج1، ص292، 294.

ثانياً: تقديم الخبر وتأخير المبتدأ، مما ورد به قوله تعالى:

(قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)[1] قُدِّم المُسْند أو الخبر (من) على المُسند إليه أو المبتدأ (بيدِهِ...) والتَّقدير: قل ملكوت كل شيءٍ بيد منْ؟ لأنَّ الخبر هو المقرَّر به، ولأنَّهُ متضمِّناً ما له صدر الكلام، ولإفادة الاختصاص. [2]

ولكن " لأنَّ معنى الاستفهام فُهم من (من) فهو المقرر به باعتبار ما ذكر بعدهُ فصار مُسنداً إليهِ. والمُسند هو ملكوت كلُّ شيءً بيدهِ. ثُمَّ قُدِّم الجار والمجرور (بيدِهِ) ".[3] وبهذا الاعتبار الأخير ذكر صاحب (دراسات لأسلوب القرآن الكريم) هذه الآية ضمن شواهد تقديم المبتدأ في الاستفهام،[4] والأصل ما تقدَّم ذكرهُ، ونحوهُ قولهُ تعالى: (قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)[5] قُدِّم الخبر(لمنْ) على المبتدأ (الأرضُ) والأصل هو: الأرض ومنْ فيها لمن؟ ولكنَّه قُدِّم الخبر وهو المالك الَّذي كُنِّيَ عنْهُ بـ(منْ) لأنَّهُ هو المُقرر به، ولأنَّه متضمِّناً مالهُ صدر الكلام، ولإفادة القصر الَّذي هو من لوازم هذا التَّركيب. [6]

---

(1) سورة المؤمنون الآية(88).

(2) المصباح، ص121.

(3) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج3، ص26.

(4) انظر: دراسات لأسلوب القرآن، ج1، ص22.

(5) سورة المؤمنون الآية(84).

(6) انظر: المصباح، ص121. التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج3، ص22.

المطلب الخامس: تقديم شبه الجملة على متعلّق الاستفهام:

مما ورد بذلك قولهُ تعالى:

(كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ)[1] قُدِّم الجار والمجرور (للمشركين) على (عهد) والأصل: كيف يكون عهدٌ للمشركين. لأنَّ الجار والمجرور هو محط الإنكار، وللتَّخصيص[2] لأنَّ المقصود هو عهد المشركين لا مُطلق عهد.

(قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[3] قُدِّم الجار والمجرور (عَلَى اللَّهِ) على مقول القول (ما لا تعلمون) لأنَّه هو محط الإنكار، أي إنكار أنْ يُجْتَرأَ على اللَّه ويُستجازَ فيه ذلك القول،[4] وإطلاقهُ عليه بغير دليل ؛ وهو نسب الولد إليه تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

والتَّقديم كذلك هو للقصر، لموافقة رؤوس الآيات في حرف النُّون. [5] وجميع ذلك ذلك لا يتحقق لو أُخِّر الجار والمجرور فقيل: أتقولونَ مالا تعلمون على اللَّه.

(قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)[6] قُدِّم الجار والمجرور (أفي اللَّه) وهو مُسند على المُسند إليهِ (شكٌ) لأنَّهُ هو محط الإنكار، أي إنكار أنْ يكون اللَّه عزَّ وجلَّ بموضع أنْ يخطر على أحدٍ شكٌ في وجودهِ،[7] لأنَّ دلائل وجودهِ موجودةٌ في جميع مخلوقاتهِ في الكون.

---

(1) سورة التَّوبة الآية(7).

(2) المصباح، ص121.

(3) سورة يونس الآية(68).

(4) دلائل الإعجاز، ص121.

(5) المصباح، الآية، 158، 128.

(6) سورة إبراهيم الآية(10).

(7) دلائل الإعجاز، ص121.

كما قُدِّم لأنَّهُ هو الأهمّ عند القائلِ والسَّامعِ،[1] وللقصر الإضافي بالنَّظر إلى الأصنام،[2] أي أفي اللَّه شكٌ لا في أصنامكم؟ لأنَّ الأصنام هي الأحرى أن يُشك فيها لا اللَّه عزَّ وجلَّ.

(1) المصباح، ص122.

(2) انظر: التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج2، ص171.

المطلب السَّادس: ما هو من باب التَّقديم والتَّأخير العام في أسلوب الاستفهام في آيات الأحكام:

مما ورد به قولهُ تعالى:

(أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ)[1] السرُّ في تقديم (تؤمنون) وتأخير (تكفرون) " لشرف الإيمان على الكفر من جهة وللتَّناسُب بين الكفر والخزي الوارد في الجزاء".[2]

(أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ)[3] في تقديم المفعول به (فريقاً) في الموضعين لإفادة نكتتين بلاغيتين هُما:

الاهتمام بالمقدَّم مع التَّشويق لمعرفة ما حلَّ بهذين الفريقين من انتهاكات اليهود.[4]

ولموافقة رؤوس الآيات في حرف النُّون لأنَّه في التَّأخير إخلالٌ بذلك التَّناسب.[5]

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا)[6] قُدِّمت الخمر على الميسر في الذِّكرِ لأنَّها الأهم؛[7]وذلك لشدة ضررها، لأنَّ فيها إتلافُ المال والعقل معاً، أمَّا الميسر إتلاف للمال فحسب.

كما قُدِّم الإثم على المنافع لأنَّه الأهمَّ أيضاً؛ وذلك لأنَّ الإثم متحقق قطعاً أما المنافع فلا أصْل لها في الشَّرع لأنَّها من المال غير المتقوَّم الَّذي لا يعترف به الشَّرع، وإنَّما هي منافعٌ من حيث الظَّاهر فقط.

والاستفهام في هذه الآية بالصّيغة الخبرية بالفعل المضارع (يسئلونك) بدون أداة وله

---

(1) سورة البقرة الآية(85).

(2) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج1، ص80.

(3) سورة البقرة الآية(87).

(4) المصباح، ص122.

(5) المصدر السَّابق، ص128.

(6) سورة البقرة الآية(219).

(7) المصباح، ص128.

نظائر أخرى تقدَّم ذكرها مجتمعةٌ في الفصل الأوَّل[1].

(وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ)[2] قُدِّمت (الملائكة) على (النَّبيين) في التَّحذير من اتِّخاذهم أنداداً من دون اللَّه، لأَنَّ الملائكة هي الأهم في التَّحذير؛ [3]وذلك " لأنَّ اتِّخاذ الملائكة أَرباباً أَدخل إلى النُّفوس، لاختلاف طبيعتهم عن طبيعةِ البشر".[4]

(وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا)[5] في تقديم (الإيمان) وتأخير (الإنفاق) لأنَّ الإيمان هو الأهمَّ في الذِّكر؛[6] وذلك لأنَّهُ هو الأصل الَّذي يَسْتند إليهِ ثواب الإنفاق، أما الإنفاق بدون الإيمان، فهو(كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا).[7]

---

(1) راجع ص104 من هذا البحث.

(2) سورة آل عمران، الآية(80).

(3) المصباح، ص128.

(4) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج1، ص169.

(5) سورة النِّساء الآية(39).

(6) المصباح، ص128.

(7) سورة النُّور الآية(39).

(قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ)[1] قُدِّم النَّفع على الضُّر لأنَّه هو الأهم في الذِّكر؛ وذلك لشمولهِ ونزول ما بعدهُ بالنِّسبة لهُ منزلة الخاص من العام؛ وهو دفع الضَّرر لأنَّهُ ضربٌ من ضروب النَّفع. كما قُدِّمَ (الأعمى) على (البصير) " لأنَّ المراد نفي مساواتهِ بالبصير".[2] ومثلهُ تقديم الظَّلمات والنُّور.

(قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ)[3] قُدِّم الصِّدق على الكَذب لأنَّهُ الأهمّ عند القائل،[4] و " لشرفه وابتهاج سليمان[عليهِ السَّلام] بهِ".[5]

(1) سورة الرَّعد الآية(16).

(2) المصباح، ص128.

(3) النَّمل الآية(27).

(4) المصباح، ص121.

(5) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج3،ص134.

المبحث الثَّالث: الفَصْل والوَصْل بين الجملة الاستفهامية مع ما قبلها وما بعدها في آيات الأحكام وأسرارهُ البلاغيَّة

توطئة

الفصل والوصل هو ترك العطف بين الجمل[1] وذكره.[2] والهدف من دراسته هو معرفة المناسبات بين المعاني وتحديد صلات بعضها ببعض، ومعرفة أسباب الْتقاء هذه الجملة بتلك، ولمَ عُطفت هذه على تلك أو فُصلت عنها؟ وما نوع الصَّلات بيْنها؟[3]

وعن هذا العِلم يقول الإمام عبد القاهر[4]: أنَّهُ " .. ممَّا لا يتأَتَّى لتمام الصَّواب فيه إلَّا الأعراب الخُلَّص، وإلَّا قومٌ طُبعواْ على البلاغة وأُوتواْ فناً من المعرفة في الكلام هم بها أفرادٌ وقد بلغ من قوَّة الأمر في ذلك أنَّهم جعلوه حداً للبلاغة فقد جاء عن بعضهم انَّه سُئِل عنها فقال: معرفة الفَصْل والوَصْل. ذلك لغموضهِ ودقة مسلكهِ وأنَّه لا يَكْمل لإحراز الفضيلة فيه أحدٌ إلَّا كَمُل لسائر معاني البلاغة".[5]

ثُمَّ يكرر عبد القاهر في موضع آخر التَّأكيد على غموض هذا العلم وصعوبته بقوله: "واعلم أنَّه ما من علمٍ من علوم البلاغة أنْت تقول فيه صعبٌ خَفيٌّ غامضٌ ودقيق صعبٌ إلَّا وعلم هذا الباب أغمضُ وأَخْفى وأدق وأصعب".[6]

وقد تجاوز عبد القاهر في دراسته للفصل والوصل العلاقة بين المفردات إلى العلاقة بين الجمل قياساً لها بالمفردات؛ لأنَّ البحث عن علاقة الكلمات ببعضها في الجملة الواحدة هو من اختصاص علم النَّحو، فإذا صحت هذه العلاقة الإعرابية في ذوق النَّحو، فهي تلك المناسبة الصَّحيحة الَّتي يرتضيها ذوق البلاغة، فلا داعي إذن أنْ

---

(1) قصره صاحب (المصباح) على الجمل الَّتي لها محل من الإعراب، ولكن الفصْل والوصْل يجري أيضاً على الجمل الَّتي لها محل من الإعراب' أنظر دلالات التَّراكيب، د. محمَّد محمد أبو موسى، مكتبة وهبه – القاهرة، ط2، 1408هـ-1978م، ص293،285.

(2) المصباح، ص33.

(3) دلالات التَّراكيب(مرجع سابق)، ص268.

(4) انظر ترجمتهُ، ص37 من هذا البحث.

(5) دلائل الإعجاز، ص222.

(6) دلائل الإعجاز، ص231.

يُشغل علم البلاغة بما هو من اختصاص علم النَّحو فالعلوم تكمِّل بعضها ولا تكرر نفسها. [1]

ولأنَّ المناسبة بين الجمل هي بمثابة تلك العلاقة الإعرابية بين المفردات،[2] "فإذا أردنا أنْ ندخل على جملة غيرها معها في هذه المناسبة عطفناها عليها"[3] مع ملاحظة أنَّ تكون المناسبة جامعةٌ بين الجملتين.

فلا يجوز إذن العطف بين جملتين أو شيئين إلَّا كانت بينهم مناسبة جامعة فـ"لا نقول زيدٌ قائم وعمرٌو قاعدٌ حتى يكون عمرٌو [قعودهُ] [4] بسبب من زيدٍ، وحتى يكونا كالنَّظيرين والشَّريكين وبحيث إذا عرِفَ السَّامع حال الأوَّل عناهُ أنْ يعرف حال الثَّاني".[5]

وخلاصة القول في الصِّلات بين الجمل أَنَّها عند البلاغيين من حيث نوعها ودرجتها خمس صور:

الأولى كمال الاتِّصال: وهو متابعة الكلام من غير عطف بأحد حروف العطف وذلك لأنَّ الجملة مُنزَلة مما قبلها نفسُهُ لكونها موضِّحةٌ ومبينةٌ له، أو مؤكدةٌ لهُ، أو مبدَّلةٌ منه لأنَّ الكلام السَّابق به خفاء أو يحتاج لرفع الوهم عنه بتأكيده، أو يكون غير وافٍ بتمام المراد. [6]

الثَّانية: كمال الانقطاع: وهو الاستئناف من غير واو ولا فاء وذلك " أنْ يكون الكلام السَّابق حكمٌ لا يُشركه الثَّاني فيه فيُقطع".[7]

---

(1) انظر دلالات التَّراكيب(مرجع سابق)، ص268.

(2) أي لهذين السَّببين، هذا والسَّابق له تجوز عبدالقاهر في الفصل الوصل البحث عن العلاقة بين المفردات إلى العلاقة بين الجمل.

(3) دلالات التَّراكيب، ص285.

(4) ما بين المعكوفين من إضافتي للتَّوضيح وليس من كلام المصنَّف.

(5) دلائل الإعجاز، ص160.

(6) المصباح، ص135.

(7) المصدر السَّابق، ص133.

وهو نوعان: أوَّلهما: " أنْ يختلفا خبراً وطلباً والمقام عارٍ عمَّا يزيل الاختلاف"،[1] أي أنْ تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً، لفظاً ومعنىً أو معنىً فقط.

ثانيهما: " أنْ يتَّفقا خبراً أو طلباً وليس بينهما جامعٌ " [2]أي ليس بين الجملتين جامع يصح العطف عليه كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ، إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[3] ففُصل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ عمَّا قبلهُ وقد اتفقا خبراً، لكونهِ حديثاً عن الكافرين، وما قبلهُ حديثٌ عن المؤمنين. أو يكون بينهما جامع ولكنه لا يلتفتُ إليه لبعدِهِ.

الثَّالثة: شبه كمال الاتِّصال: وهو الاستئناف البياني، وذلك " أنْ يكون الكلام السَّابق بفحواهُ كالمُورَد للسؤال، فيُنْزل ذلك الواقع، فيُستأنف الكلام الثَّاني جواباً لذلك السُّؤال فيُقطع"،[4] أنْ تكون الجملة الثَّانية ليست عين الأولى وإنَّما أجابت وأبانت عن سؤالٍ أثارته الأُولى.

وقد لُوحظ[5] نوعا آخر من شبه كمال الاتِّصال غير(الاستئناف البياني) وهو خاص بأُسلوب الاستفهام، وذلك إذا كانت الجملة الثَّانية هي عن الاستفهام نفسه لا عنْ سؤالٍ مقدَّرٍ بعده، وعندئذٍ يكون تقدير السُّؤال تكلُّفاً ومجافاة للإيجاز.

الرَّابعة: شبه كمال الانقطاع: وهو ترْكُ العطف احتياطاً[6] وذلك " أن تكون الجملة الثَّانية .. صالحةٌ لأنْ تُعطَف على الأولى، ولكن عطفها على الأولى يُوهم عطفها على غيرها فيلْتبس المعنى وحينئذٍ يجبُ القطع".[7] وقد سماهُ السَّكاكي[8]

---

(1) المصدر نفسه، ص136.

(2) المصباح، ص136.

(3) سورة البقرة الآيتان(5، 6)

(4) المصباح، ص134.

(5) من تنبَّه لذلك هو صاحب (التَّفسير البلاغي للاستفهام) عند قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾. سورة الأعراف الآية(37).انظر التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج1، ص371.

(6) المصباح، ص133.

(7) دلالات لتَّراكيب، ص320.

(8) انظر ترجمتهُ: ص16 من هذا البحث.

(ت:626هـ): بالقطع والاستئناف.[1] وهو كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ .[2]" قُطع قولهُ(﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾) لامتناع عطفهِ على(﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾) لأنَّه ليس من قولهم، وعلى(﴿ خَلَوْا ﴾)، و(﴿ قَالُوا ﴾) لعدم اختصاصه بالظَّرف المقدَّم؛ فإنَّ استهزاء اللَّه بهم متَّصلٌ في شأنهم، خَلُواْ إلى شياطينهم أمْ لمْ يخلُواْ، قالواْ تلك المقالة أم لمْ يقولوها".[3] أي أنَّ قولهُ تعالى(﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾) صالحٌ لأنْ يُعطف على (﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾) لاتفاقهما خبراً وبينهما جامعٌ لأنَّ كليهما حديثٌ عنْ الكفار ولكنَّهُ تُرِك العطف لِأَمْن اللَّبْس لأنَّ عطفهِ عليهِ " قد يُوهِمُ أَنَّهُ معْطوفٌ على قولهِ تعالى: (﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾) فيكون من كلامهم وليس كذلك، أو أنْ يكون معطوفاً على (﴿ قَالُوا ﴾) فيصير مقيَّداً بقوله(﴿ وَإِذَا خَلَوْا ﴾) وهذا باطلٌ".[4]

الخامسة: التَّوسط بين كمال الاتِّصال وكمال الانْقطاع: وهو العطف بين الجملتين بالواو أو الفاء إذا اتَّفقا خبراً أو إنشاءً ويكون بين الجملتين ما يجمعهما في الذِّهن.

يقول صاحب (المصباح): " هذا، واعْلم أنَّ الجملتين إذا اتَّفقا خبراً وطلباً فمن محَسِّنات العطف أمران:

أحدهما: أنْ تُشْرك بينهما في جوامع، فكلَّما كانت الشَّركة أظْهر كان الوَصْلُ بالقَبُولِ أجدر.

والثَّاني: أنْ تتناسبا في الإسمية أو الفعلية، في المُضيِّ أو الاستقبال، فلا يُصار إلى خلاف ذلك في بليغ الكلام إلَّا لِتَوخِّي نكتة".[5]

وإذا اختلفت الجملتان خبراً وإنشاءً فمنْ محسِّنات الجمع بينهما إنْ كان بينهما جامعٌ

---

(1) مفتاح العلوم(مرجع سابق)، ص261

(2) سورة البقرة الآيتان(14، 15)

(3) المصباح، ص133.

(4) دلالات التَّراكيب، ص320.

(5) المصباح، ص138، 139.

هو إمَّا تضْمين الخبر معنى الإنْشاء أوِ العكس. [1]

وأمَّا فقدان الجامع فهي الجمل المتشاردة الَّتي لا يجمعها قرن واحد وسردها متتابعة هو مظهرٌ من مظاهر الاضطراب في الحسِّ والتَّفكير سواء عُطفت أم لمْ تُعطف. [2]

فهذه الصُّورة الأخيرة، هي الَّتي وحدها للوَصْل، أمَّا الأَربعُ الأُولى فجميعها للفَصْل، أَي لا يُعطف بين الجملتين فيها بعاطف.

وقد نبَّه علماءُ البلاغة[3]إلى أَنَّ الصُّورة الرَّابعة؛ وهي (شبه كمال الانقطاع) يمكن أنْ تكون من (شبه كمال الاتصال)، تُرك فيه العطف احتياطاً لأَمن اللَّبس، وبذلك يبقى (شبه كمال الانقطاع) باباً فارغاً من أي شاهدٍ؛ وهو الوجه الَّذي ارتضاهُ صاحب (دلالات التَّراكيب) .[4] ولا بأس بذلك إبعاداً للدَّرس البلاغي من كثرة التَّقسيمات و التَّشقيقات الَّتي هي من سمات المنْهج الفلسفي لا الأدبي.

---

(1) المصدر السَّابق، ص139.

(2) دلالات التَّراكيب، ص333.

(3) انظر: المصباح، ص133. شروح التَّلخيص، ج3، ص12، 14. دلالات التَّراكيب، ص320. الفصل والوصل في القرآن الكريم دراسة في الأسلوب، د. منير سلطان، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط2، 1997، ص165.

(4) دلالات التَّراكيب ص321.

المطلب الأَوَّل: الفصْل لكمال الاتصال بين الجمل الاستفهامية وما قبلها أو بعدها في آيات الأحكام:

ممَّا ورد به قواه تعالى:

(قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ)[1] فُصِلت جملة(قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ ..) عمَّا قبلها (قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم ..) مع ما بينهما من التَّوسط بين الكمالين لاتفاقهما في الإنشائية لفظاً ومعنى، إلَّا أنَّهُ فُصِل بينهما لأَنَّ الجملة الثَّانية (قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ ..) هي توكيد لجملة(قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم ..) فبين الجملتين كمال الاتَّصال. [2]

وقوله تعالى:

(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ)[3] فُصِلت جملة (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ..) ولمْ تُعطَف بعاطف على ما قبلها (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ)[4]لأَنَّ " هذه الجملة(إِذْ قَالَ ..) –وما بعدها – بمنزلة عطف البيان على ما قبلها".[5] فبين الجملتين كمال الاتِّصال.[6]

وقوله تعالى:

(قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)[7] فُصِلت جملة (قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا ..) عمَّا قبلها وهي جملة(قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا ..)[8] وقد اتَّفقا في

---

(1) سورة الرَّعد الآية(16).

(2) المصباح، ص135.

(3) سورة الأنبياء الآية(52) .

(4) سورة الأنبياء الآية(5).

(5) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج2، ص374.

(6) دلالات التَّراكيب، ص293 ، 294.

(7) سورة القصص الآية(72).

(8) سورة القصص آية(71)

في الإنشائية لفظاً ومعنى فالعلاقة بينهما – بهذا الاعتبار –هي التَّوسط بين الكمالين الَّتي تقتضي وصْل الجُملة الثَّانية بالأولى بحرف العطف ولكنها فُصِلتْ لأنَّها بمنزلة التَّوكيد اللَّفظي للأُولى، "فإنْ لمْ تكُنِ الثَّانية توكيداً للأُولى فهي بدلٌ منْها مشوبٌ برائحة التَّوكيدِ". [1] فبين الجملتين كمال الاتِّصال.[2]وللفَصْل في هذه الآية وجهُ آخر وهو كمال كمال الانقطاع وسيأتي بيانهُ في موضعه.

وقوله تعالى:

(أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ)[3] فُصِلت جملة (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ..) عمَّا قبلها (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ)[4] على قراءة الجمهور [5] لكمال الاتِّصال بين الجملتين لأنَّ الثَّانية بدلاً أو عطف بيانٍ من الأُولى.

وقوله تعالى:

(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ)[6] فُصِلت هذه الجملة عمَّا قبلها(إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)[7])[7] لما بين الجملتين من كمال الاتِّصال[8] لأنَّ الجملة الثَّانية بمنزلة عطف البيان للأُولى.

---

(1) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج3 ، ص213.

(2) شروح التَّلخيص، ج3، ص8–10.

(3) سورة العنكبوت الآية(29).

(4) سورة العنكبوت الآية(28).

(5) قرأ بالإخبار في الأوّل (إِنَّكُمْ) والاستفهام في الثّاني (أَئِنَّكُمْ) من القرّاء نافع وابن كثير وابن عامر وحفص وأبو جعفر ويعقوب. والباقون بالاستفهام فيهما. انظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، للشَّيخ أحمد عبدالغني الدِّمياطي، دار الندوة الجديدة، بيروت، د ط، د ت، ص345.

(6) سورة الصَّافات، الآية(85).

(7) سورة الصافات، الآية(84).

(8) الفصل والوصل في القرآن الكريم(مرجع سابق)، 164.

المطلب الثَّاني: الفَصْل لِكمال الانقطاع بين الجملة الاستفهامية وما قبلها أو بعدها في آيات الأحكام:

ممَّا ورد به قوله تعالى:

(مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً)[1] فُصِلت جملة (مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ ..) عمَّا قبلها وهي جملة (وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[2] مع أنَّهما متفقتان في الإنشائية لفظاً ومعنىً لأنَّ؛ الأُولى حديثٌ عن الجهاد، أمَّا الثَّانية فهي حديثٌ عن الإنفاق فَفُصِل بينهما لكمال الانقطاع.[3]

وقوله تعالى:

(يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۙ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ..)[4] " الفصْل الفصْل بين جملة (يَسۡـَٔلُونَكَ ..) عمَّا قبلها (حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ..)[5] لانعدام دواعي العطف بينهما.

فالآية الأُولى بيانٌ من اللَّه بالأَنواع المحرَّمة من الأنعام. وهذه الآية استبيانٌ لما أَحلَّهُ سبحانهُ وتعالى. والعطْفُ يقتضي التَّناسب بين المتعاطفين"[6] فَفُصِل بين الجملتين الجملتين لكمال الانقطاع بينهما.[7]

وقوله تعالى:

(وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ

---

(1) سورة البقرة الآية(145).

(2) سورة البقرة الآية(144).

(3) المصباح، ص 136.

(4) سورة المائدة لآية(4).

(5) سورة المائدة الآية(3).

(6) التَّفسير البلاغي للاستفهام ج1، ص238، 239.

(7) المعاني في ضوء أساليب القرآن،231.

﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾[1] فُصِلت جملة(قَالَ سُبْحَانَكَ ..) عمَّا قبلها (ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ..) لاعتبارين:

الأوَّل: لشبه كمال الاتِّصال وسيأْتي بيان ذلك في موضعه.

أما الثَّاني فهو لكمال الانقطاع بين الجملتين وذلك لاختلاف طرفي الاسناد و متعلِّقاته فيهما[2]: " فالمُسند إليه في الأولى هو اللَّه عزّ وجلَ. والمُسنَد إليه في الثَّانية هو عيسى عليه السَّلام.

ومتعلِّقات الإسناد في الأُولى اتِّخاذ غير اللَّه إلهاً من دون اللَّه ومتعلِّقات الإسناد في الثَّانية تنزيه اللَّه عن الشَّريك والمماثل"[3] فكان الفصْل بين الجملتين لكمال الانقطاع.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[4]

فُصلت جملة (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ..) عمَّا قبلها(وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ ...)[5] ولم تُعطف عليها لأَنَّها خبرية لفظاً ومعنىً، وهذه إنشائية لفظاً ومعنىً فَفُصل بينهما لِما بينهُما من كمال الانقطاع. [6]

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ﴾[7] فُصلت هذه الجملة عما قبلها(وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[8] لأنَّ بين الجملتين كمال الانقطاع، فالأولى خبرية لفظاً ومعنىً، أمَّا الثَّانية فإنْشائية لفظاً ومعنىً. [9]

---

(1) سورة المائدة الآية(116).

(2) دلالات التَّراكيب، ص324.

(3) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج1، ص276.

(4) سورة إبراهيم الآية(24).

(5) سورة إبراهيم الآية(23).

(6) دلالات التَّراكيب، ص342.

(7) سورة الشّعراء الآية(128).

(8) سورة الشّعراء الآية(127).

(9) المصباح، ص136.

وقوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1] فصلت هذه الجملة عمَّا قبلها﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2] لمَا بينهما من كمال الانقطاع فالأُولى خبرية لفظاً ومعنىٍ وهذه إنْشائية لفظاً ومعنىً. [3]

وفُصِلت جملة ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [4]عمَّا بعدها﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[5] لكمال الانقطاع بين الجملتين، فالأولى خبرية لفظاً ومعنىً والثانية إنشائية لفظاً ومعنىً،[6] " ولعدم التَّناسب بين الجملتين، فالأولى نهايةٌ مؤلمةٌ لقوم لوط، والثَّانية ثناءٌ على اللَّهِ وعلى الصَّاحين من عبادهِ ".[7] فأَيّ واحدٍ من السَّببين كافٍ لإيجاب الفصْل.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[8] فُصِلت جملة ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا ..﴾ عمَّا قبلها ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا ..﴾[9] إمَّا لكمال الاتِّصال وقد مرَّ بنا،[10] وإمَّا لكمال الانقطاع لأنَّه " يجوز أَنْ يكون بين الجملتين كمال الانقطاع، باعتبار أنَّ موضع كلُّ آيةٍ منهما مسْتقلٌ بذاتهِ وعِبرةٌ عظيمة تستحقُّ أنْ يُنظر إليها نظراً قائماً برأْسهِ لا يحْتاج إلى شيْءٍ ممَّا ذُكر قبلهُ أو بعْدهُ".[11]

---

(1) سورة الشّعراء الآية(165).

(2) سورة الشّعراء الآية(164).

(3) المعاني في ضوء أساليب القرآن، ص231.

(4) سورة النّمل الآية(58).

(5) سورة النّمل الآية(59).

(6) الفصل والوصل في القرآن، ص164.

(7) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج3، ص116.

(8) سورة القصص الآية(72).

(9) سورة القصص الآية(71).

(10) راجع ص162 من هذا البحث.

(11) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج3، ص213.

فعلى أيٍّ الاعتبارين سواء كمال الاتَّصال أو كمال الانقطاع فإنَّ الفصْل بين الجملة وما قبلها واجبٌ.

وقوله تعالى:

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ، إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ)[1]فُصلت جملة (إِنَّا (إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ) عما قبلها (وَمَنْ أَظْلَمُ ..) لكمال الانقطاع بينهما لأَنَّ ما قبلها إنشائية لفظاً ومعنىً وهذه خبريةٌ لفظاً ومعنىً.[2]

وقوله تعالى: (هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ)[3] فُصِلت هذه الجملة عمَّا قبلها(فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)[4] مع أنَّها إنشائيةٌ مثلها لكمال الانقطاع بين الجملتين، ولاختلاف طرفي الاسناد فيهما.[5]

ففي الجملة الأُولى المُسْند هو(تُكَذِّبَانِ) والمُسند إليه هو ضمير الأثنين وهما الثَّقلان. أَمَّا الثَّانية فالمُسند فيها هو (جزاء) والمسند إليهِ هو(الإحسان).

وقوله تعالى:

(أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ)[6] فُصِلت جملة (أَلَمْ تَرَ ...) عمَّا قبلها (أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ..)[7] مع أنَّهما قد اتَّفقتا في الإنشائية لفظاً ومعنىً لاختلاف طرفي الإسناد فيهما. [8] فالمُسند في الأُولى هو (العِلْم بما في السَّماوات والأرض) والمُسند إليهِ هو اسم الجلالة (اللَّه). وفي الثَّانية المُسند هو (العودة إلى المنْهي عنهُ) والمُسند إليه هو (واو الجماعة) العائد إلى اليهود والمنافقين.

---

(1) سورة السّجدة الآية(22).

(2) المعاني في ضوء أساليب القرآن، ص231.

(3) سورة الرّحمن الآية(60).

(4) سورة الرحمن الآية(59).

(5) دلالات التراكيب ، ص342.

(6) سورة المجادلة الآية(8).

(7) سورة المجادلة الآية(7).

(8) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج4، ص240.

المطلب الثَّالث: الفصل لشبه كمال الاتِّصال بين الجملة الاستفهامية وما قبلها أو بعدها في آيات لأحكام:

ممَّا ورد به قوله تعالى:

(وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ، قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ)[1] فُصِلت جملة(قَالَ سُبْحَٰنَكَ ..)عمَّا قبلها (ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي..) لاعتبارين:

الأوَّل: هو شبه كمال الاتَّصال لتنْزيل الجملة الثَّانية منزلة الجواب عن سؤالٍ مقدَّرٍ نشأ عمَّا قبلها، أي فبماذا أجاب عيسى – عليه السَّلام – عن السُّؤال؟ فيكون الفصل لشبه كمال الاتِّصال(للاستئناف البياني). [2] " وهذا هو الأظهر عند المفسِّرين. أو هو المتعيَّن إذْ لمْ يذكروا غيره"[3] واعتبار الاستئناف البياني هو بالنَّظر إلى تطلُّع السَّامع لجواب عيسى–عليه السَّلام – عن الاستفهام أمَّا إذا لم يلاحظ ذلك التَّطلُّع فالجملة الثَّانية هي جوابٌ عن السُّؤال نفسه لاعن سؤالٍ مقدَّرٍ.

أمَّا الاعتبار الثَّاني للفصل فهو كمال الانْقطاع وقد مرَّ بنا.[4]

وقوله تعالى:

(فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ، قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ)[5] فُصِلت جملة (قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا) عمَّا قبلها (أَيْنَ مَا كُنتُمْ..) لشبه كمال الاتِّصال بينهما،[6] " لأنَّها جوابٌ للاستفهام (أَيْنَ مَا كُنتُمْ)؟، أمَّا حَمْل فصلها على الاستئناف البياني بتنزيلها منزلة جواب عن سؤال مقدَّرٍ نشأ عن الأُولى – وهذا هو اختيار

---

(1) سورة المائدة الآية(116).

(2) دلالات التّراكيب، ص316.

(3) التَّفسير البلاغي للاستفهام،ج1، ص276.

(4) راجع ص165 من هذا البحث.

(5) سورة الأعراف الآية(37).

(6) المصباح، ص134.

المفسِّرين – فلا وجه له؛ لأَنَّ السُّؤال الصَّريح(أَيْنَ مَا كُنتُمْ)؟ أولى بالجواب من سؤالٍ لمْ تدْع إلى تقديره ضرورةٌ عقلية أو بلاغيةٌ".[1] وهذا ما أشرتُ إليه من قبل من أنَّ الفصْل لشبه كمال الاتصال لا يُحمل دائماً (للاستئناف البياني) كما هو معروف عند البلاغيين والمفسِّرين ولكنه قد يكون جواباً عن الاستفهام نفسه إذا لم تكن هناك حاجة لسؤالٍ مقدَّرٍ بعد السُّؤال الصَّريح كما في هذا الموضع.[2]

وقوله تعالى:

(قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ)[3] فُصِلت جملة (قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ ..) عمَّا (قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ..)[4] لما بين الجملتين من شبه كمال الاتِّصال (الاستئناف البياني).[5] لتنزيل الجملة الثَّانية منزلة جواب عن سؤالٍ مقدَّرٍ نشأ عن الأُولى، تقديره فماذا قال قوم شُعيب – عليه السَلام – بعد ما أمرهم بعبادة اللَّه وحده وترك التَّطفيف في المكيال والميزان؟ فجاءت جملة (قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ ..) جواباً عن السُّؤال المقدَّر.

وقوله تعالى:

(قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ)[6] فُصلت هذه الجملة عمَّا قبلها(قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ)[7] ولمْ تُعطف عليها، لما بين الجملتين من شبه كمال الاتِّصال (الاستئناف البياني) [8] لتنزيل الجملة الثَّانية منزل

---

(1) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج1، ص371.

(2) راجع ص159من هذا البحث.

(3) سورة هود الآية(87).

(4) سورة هود الآيات(84–86).

(5) الفصل والوصل في القرآن، ص165.

(6) سورة يوسف الآية(74).

(7) سورة يوسف الآية(73).

(8) المصباح، ص134.

جوابٍ عنْ سؤال مقدَّرٍ نشا عن الجملة الأُولى تقديره : فماذا قال معاونواْ يوسف –عليه السَّلام – بعدما أنْكر إخوتهُ أنْ يكونواْ سارقين؟ فجاءت الجملة الثَّانية (**قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ..**) جواباً لهُ.

(**قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ**)[1] فُصِلت هذه الجملة عمَّا قبلها(**فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ**)[2] لشبه كمال الاتِّصال بينهما (الاستئناف البياني)، [3] " لأنَّها – أي الجملة الثَّانية – جوابٌ تنتظرهُ النُّفوس بعد تطلُّعها إلى الوقوف على ما قاله الرُّسل".[4]

(**قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا**)[5] فُصِلت جملة (**قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ ..**) عمَّا قبلها (**لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ**)[6] لما بينهما من شبه كمال الاتِّصال (للاستئناف البياني) [7] لأنَّ ما قالهُ الكافر يُولِّد سؤالاً تتطلَّع نفس السَّامع لجوابهِ تقديرهُ: فماذا قال لهُ لهُ صاحبه المؤمن بعدما استمع إلى حديثهِ المشْحون بالغرور؟.

(**إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ، قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ، قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ**)[8] فُصِلت جملة (**قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا ..**)عمَّا قبلها (**إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ**)؟ لشبه كمال الاتَّصال بينهما[9](للاستئناف البياني) إنْ لُوحظ تطلُّع السَّامع إلى ما قالواْ

---

(1) سورة إبراهيم الآية(10).

(2) سورة إبراهيم الآية(9).

(3) دلالات التَّراكيب،ص316.

(4) التفسير البلاغي للاستفهام، ج2، ص170، 171.

(5) سورة الكهف الآية(37).

(6) سورة الكهف الآيتان(35، 36).

(7) الفصل والوصل في القرآن الكريم، ص165.

(8) سورة الشُّعراء، الآيات(70–72).

(9) دلالات التَّراكيب، ص316.

رداً على إبراهيم –عليه السَّلام – أو جواب السُّؤال الصَّريح إنْ لم يُلاحظ ذلك التَّطلع".[1]

كما فُصِلت جملة(قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ) عمَّا قبلها (قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا ..) لما بين الجملتين من شبه كمال الاتِّصال(للاستئناف البياني) [2] لتنزيل الجملة الثَّانية جواب عنْ سؤالٍ مقدَّرٍ نشأ عنْ الأولى تتطلَّع نفس السَّامع لمعرفة جوابه تقديره : فبماذا ردَّ عليهم إبراهيم – عليه السَّلام – بعد ذلك؟ فجات جملة (قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ..)؟ جواباً لهُ.

(قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)[3] فُصلت جملة (قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ ..) عمَّا قبلها (فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ...)[4] لما بينهما من شبه كمال الاتَّصال (الاستئناف البياني) [5] " لأنَّ النَّفس بعد أنْ سمعت ما قاله الهدهد لسليمان – عليه السلام – تتطلَّع إلى موقف سليمان – عليه السَّلام – من هذه القصة الَّي قصصَّها عليه الهدهدُ. فجاءت جملة (قَالَ سَنَنظُرُ) جواباً للنُّفوس المتطلعة إلى ذلك الوقف".[6]

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ، قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)[7] فُصِلت جملة(قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ ..) عمَّا قبلها(فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ) لشبه كمال الاتَّصال بينهما (الاستئناف البياني) [8] لأنَّ الجملة الأولى عندما ذكرت انقسام ثمود إلى

---

(1) التفسير البلاغي للاستفهام، ج3، 98.

(2) الفصل والوصل في القرآن الكريم، ص165.

(3) سورة النّمل الآية(27).

(4) سورة النَّمل الآيات(22–26).

(5) المصباح، ص134.

(6) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج3، ص133، 134.

(7) سورة النّمل الآية(45).

(8) شروح التَّلخيص، ج3، ص12.

إلى فريقين بعد أنْ دعاهم صالحٌ – عليه السَّلام – لعبادة اللَّه وحدهُ أثارت سؤالاً تتطلب نفس السَّامع معرفتهُ تقديرهُ: فماذا قال لهم صالح –عليه السَّلام – بعد انقسامهم؟ .

(قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ)[1] فُصِلت جملة (قَالَ أَتَعْبُدُونَ ..) عمَّا قبلها (فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ)[2] لما بين الجملتين من شبه كمال الاتَّصال (الاستئناف البياني) [3] لأنَّ الجملة الثّانية نُزِّلت منزلة سؤالٍ مقدَّرٍ نشا عن الأولى تقديره فماذا قال إبراهيم – عليه السَّلام حينما أقبل قومه يلومونهُ على تحطيم أصنامهم؟ فجاءت الثَّانية جواباً لهُ.

(1) سورة الصَّافات الآية95.

(2) سورة الصّافات الآية(94)

(3) المصباح، ص134. التحرير والتّوير، ج23، ص145.

المطلب الرَّابع: الوَصْل للتَّوسط بين الكمالين بين الجمل الاستفهامية مع ما قبلها أو بعدها في آيات الأحكام:

مما ورد به قوله

(يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ)[1] وُصِلت جملة(وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ) مع ما قبلها بالواو وهي(يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ) لأَنَّهما اتَّفقتا في الخبرية وتناسبَتا في الفعلية في الفعل المضارع،[2] وقد تحقَّق ذلك أَيضاً في الجمل الثلاث الواقعة في صدور الآيات قبلها وهي (يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ)،[3] (يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ)،[4] (يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ) ولكنها فُصِلت عنْ بعضها وذلك لطُول الفصل بين الجمل الفعلية بالمضارع فيها، وعدمهُ في هذه الآية. [5] ونحو ذلك يُقال في عطف قولهِ تعالى :(وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ) [6] على ما قبله (وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ).

وقوله تعالى:

(قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ)[7] عُطِفت جملة (وَلَا يُطْعَمُ) على جملة (وَهُوَ يُطْعِمُ) للتَّوسط بين الكمالين في الخبرية واتِّفاقهما في طرفي الإسناد[8]وهما المُسند (الإطعام) والمُسْند إِليه اسم الجلالةِ (اللَّه).

---

(1) سورة البقرة، الآية(219).

(2) المصباح، ص138، 139.

(3) سورة البقرة الآية(215).

(4) سورة البقرة الآية(217).

(5) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج1، ص38.

(6) سورة البقرة الآية(220).

(7) سورة الأنعام الآية(14).

(8) المعاني في ضوء أساليب القرآن، ص231.

وقوله تعالى:

(وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ)[1]

عُطفت جملة(وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ) على جملة(وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ)[2] لاتفاقهما في الإنشائية بتضمين الثَّانية معنى الإنشاء وبينهما وبينهما جامع[3] لأنَّهما تتحدَّثان عن أحكام المعاشرة الزَّوجية.

(وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ)[4] عُطفت هذه الجملة بالواو على ما قبلها والظَّاهر أنَّه(فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ)[5] للتَّوسط بين الكمالين فيهما في الإنْشائية لفظاً ومعنىً فالأُولى نهيٌ وهذه استفهامٌ، وعُطِفت على ما قبلها " انتقالاً منْ محاورةٍ أراد اللَّه منها أنْ يُري موسى – عليه المُرْسَل إليهم بالمعجزة العظيمة".[6] فالجملتان مسوقتان لتقرير وجوب الإيمان باللَّه.

(وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[7] عُطفت جملة(وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى) على جملة (يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ)[8] لأنَّهما اتَّفقتا لفظاً ومعنىً فبينهما التَّوسط بين الكمالين.[9]

(أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ)[10] عُطِفت جملة(أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ ..) على ما قبلها (أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً)[11] – على مذهب الجمهور –

---

(1) سورة البقرة الآية(222).

(2) سورة البقرة، الآية(221).

(3) المصباح، ص139.

(4) سورة طه الآية(17).

(5) سورة طه الآية(16).

(6) التحرير والتَّنوير، ج16 ، ص204.

(7) سورة يس الآية(22).

(8) سورة يس الآية(20).

(9) الفصل والوصل في القرآن الكريم، ص165.

(10) سورة الزُّمر الآية(22).

(11) سورة الزّمر الآية(21).

لأَنَّهما اتفقتا في الإنشائية لفظاً ومعنىً، ولأَنَّهما مسوقتان لتقرير العباد بهذه الحقائق، ومعرفة مكانة النِّعمة فيها، وتقدير المنْعم بها حقَّ قدرِهِ؛ وهو اللَّه. فبين الجملتين التَّوسط بين الكمالين.[1]

وقوله تعالى:

(وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ)[2] "(وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡ) وُصِلت هذه الجملة بالواو بما قبلها(وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ)[3] ، لأَنَّ بين الجملتين التَّوسط بين الكمالين لِاتفاقهما في الخبرية لفظاً ومعنىً".[4]

وقوله تعالى:

(وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۖ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ)[5] عُطِفت جملة (وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ) بالواو على ما قبلها (ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ)[6] للتَّوسط بين الكمالين لاتفاقهما في الإنشائية لفظاً ومعنىً.[7]

وقوله تعالى:

(وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ)[8] عُطِفت جملة (وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ) بالواو على ما قبلها (وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِ)[9] للتَّوسط بين الكمالين لاتفاقهما في الإنشائية لفظاً ومعنىً واتِّفاق طرفي الإسْناد فيهما.[10]

وقوله تعالى:

---

(1) المعاني في ضوء أساليب القرآن، ص231.

(2) سورة الذّاريات الآية(21).

(3) سورة الذاريات الآية(20).

(4) التَّفسير البلاغي للاستفهام، ج4، ص154.

(5) سورة الحديد الآية(8).

(6) سورة الحديد الآية(7).

(7) المصباح، ص139.

(8) سورة الحديد الآية(10).

(9) سورة الحديد الآية(7).

(10) الفصل والوصل في القرآن، ص165.

وقوله تعالى:

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾[1] عُطِفت جملة ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ بالواو على جملة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾[2] لِما بينهما من التَّوسط بين الكمالين[3] بتضمين الأُولى معنى الإنشاء، ولأَنَّهما مسوقتان لنهي المؤمنين عن الرُّجوع إلى الجاهلية بعد أنْ أكرمهم اللَّه بالإسلام.[4]

وقوله تعالى:

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[5] عُطِفت جملة ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ ..﴾ – على مذهب الجمهور – بالفاء على ما قبلها ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[6] لِما بينهما من التَّوسط بين الكمالين[7] بتضمين الأُولى معنى الإنشاء، ولأَنَّهما مسوقتان للنَّهي عنْ عقيدة التَّثليث وحث مَنْ يعتقد بذلك على التَّوبة.

---

(1) سورة آل عمران الآية(101)

(2) سورة آل عمران الآية(100)

(3) المعاني في ضوء أساليب القرآن، ص215.

(4) الكشّاف ، ج1، ص368.

(5) سورة المائدةُ، الآية(74)

(6) سورة المائدة، الاية(73)

(7) المصباح، ص139.